
رواية
خوان بابلو بيالوبوس
حفل في الوكر
HONORARY IRON RANGER
ترجمة: محمد الفولي
صفحة
7
t.me/qurssan

Fiesta en la madriguera

Juan Pablo Villalobos

حفل في الوكر

تأليف

خوان بابلو بيالوبوس

ترجمة: محمد الفولي





الكتاب
حفل في الوكر

المؤلف
خوان بابلو بيالوبوس

الطبعة الأولى :2020
الترقيم الدولي
978-603-91437-9-6
رقم الإيداع
1444/11886

Email: admin@page7.com
Website: www.page7.com
Tel.: (00966)583210696
العنوان : الجبيل ، شارع مشهور
المملكة العربية السعودية

إهداء الترجمة

إلى أفراس النهر الليبيرية القزمة...

المترجم

إلى ماتيو.

1

يقول بعض الأشخاص إنني سابق لسنّي. يقولونها تحديدًا لأنهم يظنونني صغيرًا على معرفة الكلمات الصعبة. بعض الكلمات الصعبة التي أعرفها هي: قذر، مشؤوم، مُنمق، مثير للشفقة ومُتَفَجِّر. في الواقع، من يقولون هذا ليسوا كثيرين. المشكلة أنني لا أعرف عددًا كبيرًا من الناس. كل من أعرفهم هم ثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصًا. أربعة منهم فقط يقولون إنني سابق لسني. يقولون لي أيضًا إنني أبدو كبيرًا؛ أو يعكسون الأمر بقول إنني صغير على مثل هذه الأشياء؛ أو أنهم أحيانًا على النقيض من ذلك النقيض يعتبرونني قزمًا. بالنسبة إليّ، لا أظن أنني سابق لسني. ما يحدث أن لدي خدعة صغيرة، كالسحرة الذي يخرجون الأرانب من قبعاتهم. الفارق الوحيد أنني أخرج الكلمات من القاموس؛ ففي كل ليلة أقرَؤُه قبل أن أنام، ثم تتكفل ذاكرتي بباقي المسألة. إنها بالمناسبة ذاكرة جيدة للغاية، شبه متفجرة. أما يولكاوت، فلا يظن أنني سابق لسني، وإنما يعتبرني عبقريًا. يقول لي مداعبًا رأسي بأصابعه المرصّعة بخواتم من الذهب والألماس:

-توتشتلي، أنت عبقري أيها الخنزير الصّغير.

على أي حال، من يقولون إنني فضولي عددهم أكثر. إنهم سبعة. وهذا ليس لشيء سوى أنني أحبّ القبعات جدًّا وأستخدمها كثيرًا. استخدام القبّعات من عادات الأشخاص المُنمّقين، ففي السّماء حمام يقضي حاجته دوما. إن لم تستخدم قبعة سينتهي بك المطاف برأس مُتّسخ. الحمام قليل الحياء، إذ يَذْرَقُ على مرأى من الجميع وهو يطير. ربّما كان من الأفضل أن يفعلها في الخفاء بين فروع الأشجار. حينئذ، لم نكن سنضطر إلى النّظر طيلة الوقت نحو السّماء وكلنا قلق على رؤوسنا. لكن القبعات أيضًا -هذا إن كانت جيّدة- لها دور في مسألة التميُّز. أقصد، بمعنى آخر، أنها مثل تيجان الملوك. إن لم تكن ملكًا وإن لم تستخدم قبّعة، سينتهي بك الأمر لتصبح شخصًا بلا قيمة.

لا أظن أن استخدامي للقبعات يجعلني فضوليًا، خاصة أن كل ما هو فضولي قريب لكل ما هو قبيح؛ أو أن هذا هو ما تقوله ثينتيوتل. ما أنا متأكد منه هو أنني رجل بالفعل. على سبيل المثال: لا أقضي يومي كله أبكي لأنني بلا أم. إن كنت بلا أم يُفترض أن تبكي كثيرًا، أتحدث عن لترات من الدموع، ربما عشرة أو اثنتي عشر لترا كل يوم؛ لكن، أنا لا أبكي. ربما لأن الشواذ هم فقط من يبكون.

حينما أكون حزينا، يقول لي يولكاوت ألا أبكي. يقول تحديدًا:

-تحمل يا توتشتلي، تحمل كالرجال.

يولكاوت هو بابا، لكنه لا يحب أن أقول له بابا. يقول فقط إننا أفضل عصابة من الرجال في محيط قدره ثمانية كيلومترات على الأقل. يولكاوت من الأشخاص الواقعيين، لهذا لا يقول إننا أفضل عصابة

في الكون، أو أفضل عصابة في محيط ثمانية آلاف كيلومتر. الواقعيّون هم أشخاص يؤمنون بأن العالم ليس بالصورة التي تظن أنه عليها. هذا ما أخبرني به يولكاوت. هذا هو حال الواقع ونقطة، لأنه لا توجد حلول.

«عليك أن تتحلى بالواقعية» هي العبارة المفضلة للواقعيين.

في الواقع، أظن أننا عصابة جيدة للغاية. لديّ أدلة: العصابات قريبة من مفهوم التضامن، والتضامن عبارة عن أمر مثل أن يشتري لي يولكاوت قبّعات لأنني أحبها؛ أتحدث عن قبعات كثيرة إلى درجة أن لديّ مجموعة من كل أنحاء العالم ومن مختلف عصوره؛ رغم أن ما أوده الآن أكثر من القبّعات الجديدة هو فرس نهر ليبيري قزم. لقد دونته بالفعل في قائمة الأشياء التي أرغب فيها وقدمتها لميتلي. هكذا تجري الأمور دائمًا. يشتري لي ميتلي كل الأشياء التي أودها بأمر من يولكاوت، لأنني لا أخرج كثيرًا للشارع. لدى ميتلي ذاكرة سيئة، لهذا عليّ أن أعدّ له قائمات بطلباتي.. لكن فرس النهر الليبيري القزم لا يُباع هكذا، بكل سهولة، في متاجر الحيوانات الأليفة، فتلك الأخيرة تبيع الكلاب على أقصى تقدير، لكن من يود كلبًا؟ لا أحد يرغب في كلب. العثور على فرس نهر قزم ليبيري أمر شديد الصعوبة، لأن الطريقة الوحيدة لتحقيق المسألة ربما هي الذهاب لأسره من ليبيريا، لهذا يؤلمني بطني كثيرًا.. في الواقع، يؤلمني بطني دائمًا، لكنّي بتّ أعاني منه الآن بصورة أكثر تتابعًا.

أعتقد أن هذه اللحظة في حياتي هي لحظة قذرة؛ أو ربما مثيرة

للشّفقة.

يروقني ماثاتثين دائما؛ بصورة شبه كاملة. أَمَلُّ منه فقط حين يتعنّت ويرغب في اتباع خطّة الدراسة بالضبط.. بالمناسبة، ماثاتثين لا يدعوني توتشتلي، وإنما أوساغي، وهو اسمي باليابانية، وهذا لأنه يحب كثيرًا كل الأمور المتعلقة بإمبراطورية اليابان.

بالنسبة إليّ، أفلام السّاموراي هي ما أحبه كثيرًا من الأمور المتعلقة بإمبراطورية اليابان. لقد شاهدت بعضها مرات كثيرة إلى درجة أنني بتّ أحفظها من الذاكرة. حينما أشاهدها، أستبقها، وإذا بي أتلو محادثات محاربي السّاموراي قبل أن ينطقوها دون أن أخطئ أبدًا. يُمكنني فعل هذا باستخدام ذاكرتي، فهي حقًا شبه مُتفجّرة. هناك فيلم اسمه «شفق السّاموراي». تدور قصته حول محارب عجوز يعلّم طفلًا أمورًا تتعلق بالسّاموراي وفي جزء منه يُجبره على البقاء ساكنًا، صامتًا لأيام كثيرة. يقول له «أن تكون حارسًا، يعني أن تعمل في السر وتعرف معنى الانتظار. الصبر هو أفضل أسلحتك، كطائر الغرنوق الذي لا يعرف اليأس. الضّعفاء يُعرفون في حراكهم والأقوياء في سكونهم. انظر إلى السّيف المتفجّر الذي لا يعرف الرّعشة، انظر إلى الرّياح، انظر إلى رموشك، اغلق عينيك وانظر إلى رموشك». هذا ليس الفيلم الوحيد الذي أعرفه من الذاكرة، وإنما أكثر من ذلك بكثير: أربعة أفلام.

ذات يوم، بدلاً عن تدريس الفصول لي، حكى لي ماثاتثين قصّته وهي قصة قذرة ومثيرة للشّفقة. ما يحدث أنه كان لديه قبل ذلك أعمال

جيدة للغاية في إعلانات التليفزيون ويقبض ملايين البيزوهات ليخترع إعلانات تجارية للشامبوهات والمشروبات المرطبة، لكنه كان حزينًا طيلة الوقت، لأنه في الواقع درس ليصبح كاتبًا. هنا تبدأ القذارة: أن يكسب أحدهم ملايين البيزوهات ويشعر بالحزن لأنه ليس كاتبًا. إنه أمر قذر.

المهمّ أن درجة هذا الحزن الصافي دفعت ماثاتثين إلى العيش بعيدًا، في كوخ وسط العدم، أظن أنه كان أعلى تل. كان يرغب في أن يتفرغ للتفكير وتأليف كتاب عن حياته، إلى درجة أنه قد أخذ معه حاسوبًا. هذه الفعلة ليست قذرة، وإنما مثيرة للشّفقة. المشكلة أن الوحي لم ينزل على ماثاتثين وفي تلك الأثناء احتال عليه شريكه -الذي كان أفضل أصدقائه- واستحوذ على كل ملايينه. لم يكن أفضل صديق بالمرة؛ بل كان خائنًا.

حينها جاء ماثاتثين ليعمل معنا، لأنه من فئة المثقفين. يقول يولكاوت إن المثقفين أشخاص يؤمنون بأنفسهم كثيرًا لأنهم يعرفون أمورًا جمّة. يعرفون أمورًا عن العلوم الطبيعية، مثل طيور الحمام التي تنقل أمراضًا مثيرة للاشمئزاز؛ وكذلك عن التاريخ؛ مثل أن الفرنسيين يحبون كثيرًا قطع رؤوس الملوك، ولهذا السبب يحب المثقفون أن يكونوا أساتذة. لكنّهم يعرفون أمورًا خاطئة أحيانا؛ كمسألة أنك كي تؤلف كتابًا، فعليك أن تذهب للعيش في كوخ وسط العدم وأعلى تلّ. هذا هو ما يقوله يولكاوت: يعرف المثقفون أمورا كثيرة عن الكتب، لكن معرفتهم عن الحياة هي والعدم سواء. نحن أيضًا نعيش وسط العدم،

لكننا لا نفعلها لينزل الوحي علينا؛ وإنما بغرض الحماية.

على أي حال، يُعَلِمني ماثاتثين الأشياء الموجودة في الكتب، لأنّني لا أستطيع الذّهاب إلى المدرسة. في هذه الأيّام، ندرس غزو المكسيك. إنه موضع مُسلّ، بحروب وقتلى ودماء. هذه هي القصة: من ناحية، كان هناك ملوك في مملكة إسبانيا، وفي الناحية الأخرى الهنود[1] الذين عاشوا في المكسيك. كان لدى ملوك إسبانيا رغبة في أن يصبحوا ملوكًا للمكسيك، لهذا جاؤوا وأخذوا يقتلون الهنود، فعلوها فقط كي يخافوا ويقبلوهم ملوكًا جُددًا. حسنًا، في الحقيقة، هناك هنود لم يتعرضوا للقتل، وإنما اكتفى الملوك بحرق أقدامهم فقط. يغضب ماثاتثين من هذه القصة، لأنه يستخدم قمصانًا من المانتا[2] وصنادل الأواراتشي[3] كأنه هندي، ثم يبدأ في خُطبه المعهودة ويقول لي:

-لقد سرقوا أموالنا يا أوساغي! لقد نهبونا!

يقولها إلى درجة قد يبدو معها أن هؤلاء الهنود القتلى كانوا أولاد أعمامه أو أعمامه أنفسهم. إنه مثير للشفقة.

بالمناسبة، لا يحب الإسبان أن يقطعوا رؤوس ملوكهم. ما زال لديهم ملك وملكة ورأساهما فوق عنقيهما. لقد أظهر لي ماثاتثين صورة

---

1. وردت في النص الأصلي مكتوبة (Los indios) وترجمتها الحرفية "الهنود" لكن يُقصد بها السكان الأصليون لأمريكا الجنوبية. لهذا المصطلح إيحاء سيئ حين قوله للإشارة إلى السّكان الأصليين. وكما سيظهر لاحقًا لدى توتشتلي نظرته وكذلك لغته "الخاصة" تجاه الأشخاص والأمور. لهذا فضلت كتابته كما هو للحفاظ على الروح الأصلية للنص. (المترجم).

2. نسيج خاص من القطن يستخدمه بعض السكان الأصليين في المكسيكي لصناعة ملابسهم. (المترجم).

3. Huarache : احد انواع الصنادل التي يستخدمها السكان الأصليون في المكسيك وبعض دول أمريكا اللاتينية والفارق بينها وتلك العادية أنها غالبًا ما تكون مصنوعة من القطن.(المترجم).

لهما في مجلة. هذه المسألة مثيرة للشّفقة أيضا.

من ضمن الأمور التي تعلمتها مع يولكاوت أن الأشخاص لا يصبحون جثثًا من طلقة واحدة. يحتاجون أحيانا إلى ثلاث طلقات أو حتى أربع عشرة طلقة. المسألة برمتها تعتمد على أين تُصيبهم بالطّلقات. إن أطلقت عليهم رصاصتين في دماغهم، سيموتون بكل تأكيد، لكن يُمكنك أن تطلق حتى ألف رصاصة على شعرهم ولن يحدث لهم شيء، لكن مشاهدة مثل هذا الشيء قد تصبح أمرًا مسليًّا. أعرف كل هذه الأمور بسبب لعبة نلعبها أنا ويولكاوت. إنها لعبة تعتمد على أسئلة وإجابات، إذ يقول أحدنا عددًا من الطلقات في جزء من جسد الإنسان، ويجيب الآخر بواحدة من ثلاث إجابات: حيّ، جثة أو تعذّرَ التّشخيص.

-طلقة في القلب.

-جثة.

-ثلاثون طلقة في ظفر الإصبع الصغيرة للقدم اليسرى.

-حي.

-ثلاث طلقات في البنكرياس.

-تعذّر التشخيص.

نستمر على هذه الصورة، وحينها تنتهي أجزاء الجسد التي نعرفها، نبحث عن أخرى جديدة في كتاب يضمّ رسومات لكل شيء، حتى البروستاتا والنخاع المستطيل. بما أننا نتحدث عن الدماغ، فخلع القبعة

أمر مهمّ قبل تلقي الطلقات فيه وذلك كي لا تتسخ القبعة ولأن تنظيف الدماء صعب جدًّا. تُكرّر إيتبابالوتل هذه العبارة كثيرًا. إنها الخادمة التي تُنظّف قصرنا. أي نعم! قصرنا الذي نملكه أنا ويولكاوت، رغم أننا لسنا ملكين. ما يحدث أننا لدينا مال كثير، كثير جدًّا. لدينا بيزوهات، وهي عملة المكسيك. لدينا دولارات، وهي عملة الولايات المتحدة. لدينا يوروهات، وهي عملة دول وممالك أوروبا. أعتقد أنه لدينا مليارات من هذه الأنواع الثلاثة، لكن المفضلة لدينا هي عملة المائة دولار الورقية. بخلاف النقود، لدينا مجوهرات وكنوز، وخزائن كثيرة بأرقام سرية، ولهذا السبب معارفي من الناس قليلون؛ ثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصًا، لأنني إن عرفت أُناسًا أكثر قد يسرقون نقودنا أو يحتالون علينا كما حدث مع ماثاتثين. يقول يولكاوت: علينا أن نحمي أنفسنا بأنفسنا. مفهوم العصابات يدور حول هذه المسألة أيضًا.

ذات يوم، جاء إلى قصرنا شخص لا أعرفه وأحبّ يولكاوت أن يعرف إن كان رجلًا أم لا. كان وجهه مُلطّخًا بالدم، والحقيقة أن مشاهدته كانت مخيفة نوعًا ما، لكنني لم أقل شيئًا؛ فأن تكون رجلًا يعني ألا تخاف؛ أما إن كنت تخاف فأنت من الشواذ. وقفت بجدية كبيرة، بينما أخذ ميثتلي وتشيتشيلكوالي -وهما حارسا القصر- يكيلان له ضربات متفجّرة. لقد تبين أن هذا السيد من الشواذ لأنه بدأ يصرخ ويزعق: لا تقتلوني! لا تقتلوني! إلى درجة أنه قد تبوّل في سرواله. الأمر الجيد أنني أثبتّ كوني رجلًا ثم تركني يولكاوت أرحل قبل أن يجعل من هذا الشاذ جثّة. لقد قتلوه بالطبع، لأنني رأيت إيتبابالوتل بعدها

تمشي ومعها دلو ومِمسحة. رغم أنني لا أعرف كم رصاصة أطلقوها عليه، لكنني أظن أنها كانت أربع طلقات على الأقل في القلب. لو احتسبت الموتى، لقلت إنني أعرف أكثر من ثلاثة عشر أو أربعة عشر شخصًا، ربما سبعة عشر أو أكثر، عشرين تقريبًا. لكن الموتى لا يُحتسبون، لأن الموتى ليسوا أشخاصًا. الموتى عبارة عن جثث.

في الواقع، هناك طُرق كثيرة لصناعة الجثث[4]، إلا أن الثّقوب هي أكثرها استخدامًا. الثقوب هي فتحات تصنعها في أجساد الناس كي تسيل الدماء منها. الطلقات تصنع الثقوب والسكاكين أيضًا. إن سال دمك، فهناك لحظة يتوقف فيها القلب أو الكبد عن العمل، أو الدماغ أيضًا. وتموت. هناك طريقة أخرى لعمل الجثث: القَطع. تستخدم فيها أيضا السكاكين أو السواطير والمقاصل. قد يكون القطع كبيرًا أو صغيرًا. إن كان القطع كبيرًا، تنفصل الأجزاء المقطوعة ويصبح لدينا جثث من قطع صغيرة. قطع الرؤوس هو الأشيع، رغم أنك في الواقع يُمكنك قطع أي شيء. الذنب ذنب الرقبة. إن لم تكن لدينا رقبة، لاختلف الأمر. ربما لأصبح الأكثر شيوعا هو قطع الجسد إلى نصفين لنحصل على جثّتين، لكن لدينا رقبة وهذه المسألة تمثّل إغراءً كبيرًا؛ بالأخصّ بالنسبة إلى الفرنسيين.

الحقيقة أن قصرنا أحيانًا لا يبدو قصرًا. المشكلة أنه كبير للغاية ولا

4. وردت في النص الأصلي "Hacer cádaveres" والتي تعني حرفيا "عمل الجثث" أو "صناعة الجثث" وهو التعبير الذي قد يبدو ركيكًا بالإسبانية والعربية على حد سواء. لكن هذه هي اللعبة التي يمارسها المؤلف ببراعة، عن طريق اللغة الخاصة التي يتحدث بها الراوي: وهي لغة "طفل" ابن لتاجر مخدّرات يُحب القواميس. لذا سيظهر هذا الأمر كثيرًا في الصفحات القديمة وسيتعرف القارئ على اصطلاحات توتشتلي الخاصة ويعتاد عليها رويدًا. (المترجم).

توجد طريقة لإبقائه مُنمّقًا. تود إيتبابالوتل منذ فترة طويلة أن يستأجر يولكاوت ابنة عمتها كي تساعدها في النظافة. تقول إنها موثوقة، لكن يولكاوت لا يريد مزيدًا من الأشخاص في قصرنا. تشكو إيتبابالوتل لأن قصرنا به عشر غرف: غرفتي، غرفة يولكاوت، غرفة القبعات، غرفة ميتلي وتشيتشيلكوالي، غرفة أعمال يولكاوت وخمس غرف أخرى فارغة لا نستخدمها. هناك أيضا: المطبخ، صالة الجلوس، صالة التلفاز، صالة الأفلام، صالة ألعابي، صالة ألعاب يولكاوت، مكتبه، السفرة الداخلية، سُفرة الشرفة، السُّفرة الصغيرة، خمسة حمامات نستخدمها، حمامان لا نستخدمهما، الجيمنازيوم، الساونا، وحمام السباحة. يقول ميتلي إن يولكاوت مُصاب بالبارانويا وإن هذه مشكلة. لا يتعلق الأمر بنظافة القصر وإنما أيضًا براحة ميتلي، لأنه مسؤول مع تشيتشيلكوالي ببنادقهما عن حماية القصر على مدار 24 ساعة. حينما أقول 24 ساعة أقصد أن ميتلي أحيانا لا ينام وفي مرات أخرى تشيتشيلكوالي. كل هذا رغم وجود سور مرتفع لحمايتنا، بل إن فوقه زجاج وأسلاك شائكة وإنذار بالليزر ينطلق أحيانًا حين يمر عصفور بالقرب منه؛ وهذا بالطبع رغم أننا نعيش وسط العدم.

هناك حديقة ضخمة حول قصرنا. يعتني بها أتكاتل وهو رجل أصمّ مُحاط على الدوام بضوضاء الآلات التي يعمل بها. إنها ضوضاء قد تجعلك تفقد السّمع إن اقتربت منها كثيرًا. لدى أتكاتل آلات لجزّ النّجيل، آلات لجزّ الحشائش، وأخرى لقطع الأشجار والأجمات، لكن عدوّه الرئيسي هي الحشائش الضارة. الحقيقة أن أتكاتل يخسر لأن حديقتنا تمتلئ دومًا بالأعشاب الضارة. بالمناسبة، أفراس النهر الليبيرية

القزمة آلات صامتة لالتهام الحشائش الضارة. تُسمّى الحيوانات مثلها بالعاشبة؛ أي أنها آكلة للأعشاب.

أمام سفرة الشرفة، في الحديقة، هناك أيضًا أقفاص بها حيواناتنا التي تنقسم إلى نوعين: طيور وسنّوريات؛ بالنسبة إلى الطيور لدينا: صقور، نسور وقفص يمتلئ بطيور الدرّة وعصافير ملوّنة مثل ببغاوات آرا وهذه الأشياء. أما السّنّوريات، فلدينا أسد موضوع في قفص ونمران في قفص آخر. هناك مساحة بجوار ذلك الأخير سنضع فيها قفصًا لفرسنا النهري الليبيري القزم. ستكون هناك بركة صغيرة داخله، لكنها لن تكون عميقة، وإنما ستكفيه فقط ليتمرغ في الوحل. أفراس النهر الليبيرية القزمة ليست مثل بقية أفراس النهر التي تحب العيش منغمسة في المياه. سيصبح إيتشكواتلي، الذي يعتني بحيواناتنا، مسؤولا عن كل هذا: سيقدم لها كلها الطعام، سينظف أقفاصها، سيقدم لها الدواء إن دعت الحاجة إلى ذلك. بإمكان إيتشكواتلي أن يحكي لي أمورًا كثيرة عن الحيوانات؛ كيفيّة علاجها ومثل هذه الأشياء، لكنه لا يحكي لي شيئًا؛ فهو أبكم أيضا. أعرف الكثير من البُكم: ثلاثة. أحيانًا، حينما أقول لهم شيئًا -ولأن لديهم رغبة في أن يتحدثوا- يفتحون أفواههم، لكنهم يظلّون صامتين. الصّامتون غامضون ويمتلؤون بالألغاز. المشكلة أن الصمت لا يُقدم تفسيرات، لكن لدى ماثاتثين رأي آخر؛ يقول إن الصمت يُعلم أمورًا كثيرة؛ لكن هذه هي أفكار إمبراطورية اليابان، التي يحبها كثيرًا. أعتقد أن أكثر شيء غامض وعامر بالألغاز في هذا العالم لا بُدّ أن يكون يابانيًا أبكم.

هناك أيام كل شيء فيها مشؤوم، مثل اليوم. لقد شعرت مجدّدًا بمغص كهربائي في بطني. إنها وخزات تشعر معها كأنك تتعرض للصعق. ذات مرة وضعت شوكة طعام في قابس كهربائي وصُعِقَت يدي. هذه الوخزات شعورها مماثل، لكنها داخل أمعائي.

لمواساتي، أعطاني يولكاوت قبعة جديدة لأضمّها إلى مجموعتي: قُبّعة مُثلثة. لدي قبعات كثيرة مثلّثة. إحدى عشرة قبعة؛ هذه القبعات لها شكل مثلث ورأس صغير للغاية. وهي من فرنسا والمملكة المتحدة والنمسا. المفضّلة لديّ فرنسية وتخص الجيش الثوري، أو أن هذا على الأقل هو ما جاء في الكتالوج. يروقني الفرنسيون لأنهم يخلعون تيجان الملوك قبل قطع رؤوسهم. بهذه الطريقة، لا ينبعج التاج ويمكنك أن تضعه في أحد متاحف باريس أو أن تبيعه لشخص يمتلك مالًا كثيرًا، مثلنا. قبعتي الجديدة من السويد وبها ثلاث كرات صغيرة حمراء عند كل طرف. أعشق القبعات المثلثة لأنها تخصّ جنودًا مجانين. بمجرد أن ترتديها تكتسحك رغبة في أن تركض بمفردك لغزو أقرب مملكة. إلا أنني اليوم لم أودّ أن أغزو بلادًا أو أشنّ حروبًا. اليوم كان يومًا مشؤومًا.

في المساء لم يخصّص ماثاتثين فرضًا لي وتركني أقوم بأبحاث حرّة. إنها مسألة نفعلها أحيانًا، خاصة حينما أمرض وأعجز عن الانتباه. قمت ببحث حول دولة ليبيريا. وفقا للموسوعة، تأسّست هذه الدّولة في القرن التاسع عشر من قبل أشخاص كانوا يعملون عبيدا في دولة

الولايات المتحدة. كانوا أفارقة أمريكيين[5]. حررهم رؤساؤهم، فذهبوا للعيش في افريقيا. المشكلة أن أشخاصًا آخرين كانوا يعيشون هناك: الأفارقة. حينها شكل الأشخاص الأفارقة الأمريكيين الحكومة، أما الأفارقة فلا. لهذا أصبحوا يقضون وقتهم في الحرب فيما بينهم وقتل بعضهم بعضًا والآن أصبحوا جميعا موتى من الجوع تقريبا.

يبدو أن ليبيريا بلد مشؤوم. المكسيك أيضًا بلد مشؤوم. أقول إنه مشؤوم لأنه لا يمكنك أن تحصل فيه على فرس نهر ليبيري قزم. في الواقع، يُسمّى هذا الأمر بلد عالم ثالث.

بالمناسبة، الساسة هم أشخاص يقومون بأعمال صعبة؛ وهذا ليس لأنهم سابقون لسنهم، بل هم على النقيض من هذا. هذا ما يقوله بولكاوت: كي تكسب ملايين من البيزوهات، لست في حاجة لتكرار كلمة الديمقراطية أكثر من مرة. لقد تعرفت اليوم على الشخص الرابع عشر أو الخامس عشر في قائمة معارفي. إنه سياسي يُدعى الحاكم[6]. جاء لتناول العشاء في قصرنا لأن ثينتيوتل تعدّ عصيدة خضراء لذيذة. ثينتيوتل هي طبّاخة قصرنا وتعرف كيفية تجهيز كل أنواع العصائد الموجودة في العالم، وهي بالمناسبة ثلاثة: الخضراء، البيضاء والحمراء. لا أحب العصيدة كثيرًا؛ خاصة بسبب الخسّ الساخن فهي مسألة سخيفة، فالخسّ للسلطات والشطائر. بخلاف هذا، تستخدم رؤوس

---

5. وردت في النص الأصلي مكتوبة "كانوا يعملون عبيدا" و"أفارقة أمريكيين" وليس "كانوا عبيدًا" و"افرو امريكيين" استمرارًا للغة توتشتلي الخاصة وأخطائه المثيرة للضحك كطفل في ظل الجدية التي يتحدث بها. (المترجم).

6. وردت في النص الأصلي "el gober" اختصارا لكلمة "el gobernador" والتي تعني الحاكم، والمقصود بها هنا "حاكم الولاية". إذ تنقسم المكسيك إلى ولايات. (المترجم).

الخنازير لإعداد العصائد. ذات مرة أطللت برأسي لمشاهدة الحساء في الإناء وكانت هناك أسنان وأذن طافية. إنه أمر قذر! ما أحبه حقًّا هي الإنشيلادا، الكيساديا، والتاكوس بطريقة الراعي[7]. أفضل تلك الأخيرة من دون الأناناس، لأن إضافته إلى التاكوس مسألة سخيفة أيضا. أكل الإنشيلادا بقليل من الفلفل الحريف، لأنني لو لم أفعل ذلك، لآلمني بطني بصورة أكبر. الحاكم هو شخص يفترض أن يحكم الأشخاص الذين يعيشون في ولاية، لكن يولكاوت يقول إن هذا الحاكم ليس له حكم على أحد؛ ولا حتى الساقطة التي نفضته من بطنها. على أي حال، الحاكم رجل لطيف، رغم أن لديه خصلة غير محلوقة من الشّعر الأبيض وسط رأسه. لقد قضيت وقتًا طيّبًا للغاية بينما أستمع لمحادثات يولكاوت معه، لكن مسألة الوقت اللطيف لا تنطبق على الحاكم. وجهه كان محمرًّا كأنه سينفجر، لأنني كنت آكل بعض قطع الكيساديا، بينما يتناولان العصيدة الخضراء ويتناقشان حول أعمالهما المرتبطة بالكوكايين. أخبره يولكاوت أن يهدأ، فأنا كبير ونحن عصابة، ولا يُمكن إخفاء الحقائق بين أفراد العصابة الواحدة. حينها سألني الحاكم عن سنّي وحينما أخبرته اعتبر أنني ما زلت صغيرا على مثل هذه الأشياء. حينها غضب يولكاوت وألقى في وجهه برزمة من الدّولارات التي أخرجها من حقيبة. كانت كثيرة؛ بالآلاف. ثم أخذ يصرخ في وجهه:

-اخرس يا حاكم يا وسخ. أي خراء تعرفه يا غبي؟ خذ حسنتك يا شاذ، هيّا!

---

7. أكلات مكسيكية شهيرة. (المترجم).

بعدها قال لي إن عملنا قائم على هذا: الإبقاء على الأغبياء في مكانهم، فاحمرّ وجه الحاكم أكثر وكأنه سينفجر في التوّ واللحظة، لكنه أخذ يضحك بعدها. قال له يولكاوت إنه إن كان يقلق عليّ، فبإمكانه أن يجلب لي فرس نهر. بدا على وجه الحاكم أنه لم يفهم شيئًا، لهذا شرحت له أن ما أودّه هو فرس نهر ليبيري قزم، وأنها مسألة يصعب تحقيقها دون الذّهاب إلى دولة ليبيريا. لم يعد وجهه يبدو عليه أنه سينفجر وسألنا:

-لماذا لا تذهبان إلى ليبيريا؟

فأجابه يولكاوت على الفور:

-أيها الحاكم. لا تكن غبيًا.

فقال الحاكم: «حسنًا دعونا نرى. لا بد أن هناك شيئًا يمكننا أن نفعله»، فداعب يولكاوت رأسي بأصابعه المرصّعة بخواتم الذهب والألماس:

-أنت ترى الآن يا توتشتلي، يولكاوت قادر على الدّوام.

في الواقع، المكسيك تكون أحيانا بلدًا رائعًا يمكنك القيام فيه بأعمال جيدة للغاية. ما أقصد قوله، بمعنى آخر، إن المكسيك بلد مشؤوم أحيانا، لكنها أيضا بلد رائع أحيانا أخرى.

هناك أغنية أحبها اسمها الملك، إلى درجة أنها كانت الأولى التي أغنّيها من الذاكرة. لقد حدث هذا حين كنت صغيرًا للغاية وقبل حتى أن تصبح ذاكرتي مُتفجّرة. في الحقيقة، لم أحفظها جيدًا، لكنني كنت أخترع الأجزاء التي أنساها. المسألة أن هذه الأغنية لها قافية صعبة.

يمكننا مثلًا أن نقول إن كلمتي قافية وقاسية[8] بينهما قافية. لو غيرت أي كلمة بتلك الأخرى لن يلاحظ أحد. هناك جزء في «الملك» أحبه كثيرًا ويقول: «ليس لدي عرش أو ملكة، أو من يرعاني، لكنني ما زلت ملكًا» لأنه يشرح بصورة جيدة للغاية الأشياء التي تحتاجها لتصبح ملكًا: عرش، ملكة ومن يرعاك. أنت ملك حين تغنيها لأن كلمتك هي القانون، وإن لم تمتلك مالًا. في الواقع، تتحدث الأغنية عن معنى أن تكون رجلًا حقيقيًا. في بعض الأحيان يصبح الرجال الحقيقيون رجالًا حقيقيين لأنهم لا يخافون. في أحيان أخرى، لا يمتلك الرجال شيئًا لكنهم يظلون ملوكًا، لأنهم في الأساس رجال.

أفضل شيء في كونك ملكًا، أنك لست مضطرًا إلى العمل. عليك فقط أن ترتدي التاج وبعدها يقدم لك الناس في مملكتك النقود، الملايين منها. لديّ تاج، لكن لا يمكنني أن أضعه كل يوم. لقد سمح لي يولكاوت بأن أرتديه أربع مرات فقط. نحفظه في خزانة بجوار بقيّة كنوزنا. التاج ليس مصنوعًا من الذّهب، لأنه كان يخصّ أحد ملوك أفريقيا، وفي أفريقيا كلهم فقراء، حتى الملك. لو كانت المكسيك في أفريقيا لأصبح أمرًا مشؤومًا.

التاج مصنوع من المعدن والألماس. كلّفنا مالًا كثيرًا، لأنه كي تصبح ملكًا في أفريقيًا عليك أن تقتل الكثير من الناس. الأمر كمسابقة؛ من يحصل على التاج هو من يُراكم أكبر قدر من الجثث.

---

8. وردت في النص الأصلي (Rimar e inventar) وترجمتها الحرفية "التقفية والابتكار" لكن إن نُقلت إلى العربية بهذه الصورة ستغيب القافية الموجودة في الإسبانية وبالتالي تخلو الجملة من مضمونها. لهذا لجأت إلى استخدام كلمة "قافية" والبحث عن كلمة أخرى لها الوزن نفسه ووقع الاختيار على "قاسية" للحفاظ على روح الجملة. (المترجم).

يقول ماثاثئين إن أوروبا كذلك أيضًا. تثير هذه المسألة غضبه وتُلهمه بإلقاء خطابات. لم ينزل الوحي على ماثاثئين في أعلى التل لتأليف كتاب، وإنما لإلقاء خطابات لا يتوقف عن تلاوتها طوال الوقت. يقول:

-أوروبا نهضت على جثث كثيرة يا أوساغي. ثمّة أنهار من الدّماء تجري في أوروبا.

حينما نتحدث عن هذه الأمور، يتبيّن أن ماثاثئين يكره الإسبان، وأحيانا أخرى الفرنسيين؛ وربما كل الأوروبيين. إنه مثير للشفقة. بالنسبة إلي، أعتقد أن الفرنسيين أشخاص جيّدون لأنهم اخترعوا المقصلة، أما الإسبان فهم زبائن جيّدون لأعمال يولكاوت، لكن الـ«غرينغوس»[9] زبائن أفضل منهم. المكسيكيون ليسوا زبائن جيدين بالنسبة إلى يولكاوت لأنه لا يرغب في هذا. واحدة من الجثث التي عرفتها كانت لحارس يفعل ما يفعله تشيتشيلكوالي الآن، لكن خطر له القيام بأعمال في المكسيك. ليست لدى يولكاوت رغبة في تسميم المكسيكيين. يقول ماثاثئين إن هذا ما يعنيه أن تكون وطنيًّا.

أكثر شخصيّة بكماء أعرفها هي كيتشولي. يجلبها ميتّلي إلى قصرنا مرة أو مرتين في الأسبوع. لديها ساقان طويلتان للغاية. طولها متر ونصف كما يقول ثينتيوتل، أما ميتّلي فيقول شيئًا آخر. إنه شيء غامض. يقول:

---

9. وردت في النص الأصلي "Los gringos" وهي كلمة يستخدمها أغلب سكان أمريكا اللاتينية عند الحديث بالعامية للإشارة إلى مواطني الولايات المتحدة، لكن لها إيحاء مُسيء. فأن ينادي مواطن مكسيكي مثلا بكلمة "غرينغو"، تعني أنه يستخف ويستهزئ به. (المترجم).

-تسعون ستون تسعون، تسعون ستون تسعون.[10]

إنه سر يقوله لي في الخفاء. كل ما يتعلق بكيتشولي عبارة عن سر. تسير في القصر دون أن تنظر إلى أحد، دون ضجيج، ملتصقة على الدوام ببولكاوت. يختفيان أحيانًا ثم يظهران من جديد. إنه أمر غامض للغاية. يقضيان ساعات طويلة، وأحيانًا اليوم بأكمله معًا حتى رحيلها، ثم يجلبها ميتلي مجدّدا لتبدأ الأسرار وأوقات الاختفاء مرة أخرى.

أكثر اللحظات غموضا تأتي حينما نجلس جميعًا لتناول الطّعام في الشرفة؛ بولكاوت، كيتشولي، ماثاتثين وأنا. في المرة الأولى سألها ماثاتثين إن كانت من ليون، أم غوادالاخارا، أم من أين. لم تتمكن كيتشولي من قول أي شيء ثم نظرت لماثاتثين للحظة. حينها زعق بولكاوت قائلًا إنها من مزرعة «المُعاشَرَة»[11].. بالمناسبة، تقع مزرعة «المُعاشَرة» بالقرب من سان خوان، بجوار الطريق الرئيسي. هناك سياج عند المدخل عليه لافتة باسمها: «المُعاشَرة».[12]

يبدو أن كيتشولي عمياء أيضًا، لأنك لا تعرف أبدًا إلى أين تنظر. لا. إنها ليست عمياء. لقد ضبطتها مرة وهي تنظر إلى قبّعاتي. هناك أمر

---

10. تسعون ستون تسعون: يحمل التعبير هنا إيحاء جنسيًا للإشارة إلى أن السبب وراء غياب بولكاوت المستمر مع كيتشولي هي مقاساتها المثالية كامرأة، لأن الاعتقاد السائد بخصوص مقاسات الجسد المثالي للمرأة هو 90 للصدر 60 للخصر و90 للأرداف. (المترجم).

11. وردت في النص الأصلي "La Chingada" وهي كلمة مكسيكية بذيئة تعني "المضاجعة" أو "المعاشرة" بمفهومها السوقي. إذ يُلقي بولكاوت هنا مزحة بذيئة بخصوص مهنة كيتشولي كعاهرة. (المترجم).

12. المزرعة حقيقية وموجودة بالفعل. بعض المناطق والقرى والمزارع النائية في المكسيك تحمل أسماء لها معنى بذيء وهو أمر لا يقتصر على هذا البلد أو أمريكا اللاتينية فقط، بل موجود في بعض الدول العربية أيضًا مثل قرية "مصمص" الموجودة في محافظة أسوان في مصر. هنا تتجلى المفارقة لأن توتشتلي لكونه طفلًا يردد كالببغاء ما يقوله بولكاوت دون معرفة المعنى الحقيقة لمزحته، ولهذا أكد على كلامه بوجود قرية "المُعاشرة" بالفعل". (المترجم)

احر غريب: إنها لا تأكل سوى السلطات؛ سلطتها المفضلة من الخس، الطماطم، البروكلي، البصل والأفوكادو. تعصر عليها ليمونًا وتضيف ملحًا بأصابعها شديدة الطول والنّحافة المرصعة بالخواتم، لكن خواتم كيتشولي صغيرة ورفيعة، وليست مثل تلك التي تخصّ يولكاوت، فهي غليظة وبها ألماس عملاق. إنها ليست مليونيرة مثلنا.

في الغداء، يتحدّث يولكاوت وماثاتثين عن الساسة. إنها مناقشات مسلّية لأن يولكاوت يضحك كثيرًا ويقول لماثاتثين إنه بريء وأحمق. لا يضحك ماثاتثين كثيرًا لأنه يظن أن الحكومة يجب أن تكون من الساسة الذين يذهبون جهة اليسار[13]. يقول: «لو حكم اليسار، لن تحدث مثل هذه الأمور»، فيضحك يولكاوت أكثر. هناك أيام يقول فيها ماثاتثين أسماء ساسة ويجيبه يولكاوت بناء على ذلك بواحد من أصل ردين إما "آه" أو "تؤ تؤ".

يندهش ماثاتثين أحيانا ويضحك قائلا: «كنت أعرف!، كنت أعرف بالفعل!»، لكنه في مرات أخرى يصرخ «كذب! كذب!» فيقول له يولكاوت إنه بريء وأحمق.

بينما تأكل كيتشولي سلطاتها، تأكل بقيّتنا اللذائذ التي تطهوها ثينتيوتل ويحبها ماثاتثين كثيرا. في كل مرة نفرغ من الطعام ينادي على ثينتيوتل صارخًا ويقول لها إنه كان أفضل طبق مولي[14] يتناوله في حياته -لو كنا قد تناولنا طبق المولي- أو أفضل طبق لحم على الطريقة

---

13. وردت في النص الأصلي "que van por la izquierda" والتي تعني ترجمتها الحرفية "يذهبون جهة اليسار". يقصد تونشتلي بالطبع المنتمين إلى تيار اليسار. لكن لأنه طفل يستخدم لغته الخاصة الغريبة التي تحتوي على أخطاء مُضحكة في التّعبير. (المترجم).

14. طبق مكسيكي شهير.

التاميكية[15]، أو أيا كان. إنه مثير للشفقة. يعتقد يولكاوت أن ماثاثين لديه جوع جيني؛ أما كيتشولي لأنها بكماء فلا تنطق. يقول ماثاثين إنها نباتية فأجيبه إنها عاشبة مثل أفراس النهر الليبيرية القزمة، لكن تلك الأخيرة لا تحب الخس، بل البرسيم. لو لم تكن كيتشولي بكماء لسألتها عن رأيها في خس العصيدة الساخن.

هذا هو ما نقلوه اليوم في نشرة الأخبار في التليفزيون: نمور حديقة حيوان غوادالاخارا التهمت امرأة بالكامل، باستثناء ساقها اليسرى. ربما لم تكن الساق اليسرى لذيذة، أو ربما أن النمور قد شبعت. لم أذهب قط إلى حديقة حيوان غوادالاخارا. ذات مرة، طلبت من يولكاوت أن يأخذني إليها لكنه بدلاً عن ذلك جلب إلي حيوانات في القصر. حدث هذا حين اشترى الأسد وقال لي قصة عن رجل لم يتمكن من الذهاب إلى الجبل فجاء إليه الجبل سيرًا.

كانت السيدة المأكولة مديرة الحديقة ولديها ابنان وزوج وسمعة دولية. إنها كلمة جميلة: سُمعة. قالوا إن ما حدث ربما يكون انتحارًا أو قتلًا لأنه لم يسبق أن دخلت قفص النمور قط. نحن لا نستخدم نمرينا للانتحارات أو القتل، فهذا الشيء الأخير مهمّة ميثلي وتشيتشيلكوالي بثقوب الرصاص. بالنسبة إلى الانتحارات، فلا أعرف كيف نفعلها، لكننا نستخدم نِمرينا في تناول الجثث، وبالمثل أسدنا. رغم ذلك، فأكثر ما نستخدمها فيه هو مشاهدتها لأنها حيوانات قوية ومتناسقة ومشاهدتها أمر ممتع. لا بد أن تغذيتها الجيدة هي السبب. يفترض ألا

15. نسبة إلى مدينة تامبيكو الواقعة في ولاية تاماوليباس الواقعة جنوب شرق المكسيك.

اعرف مثل هذه الأمور لكنها أسرار يفعلها ميتلي وتشيتشيلكوالي ليلًا. أظن أنني في هذه المسألة سابق لسنّي فعلًا؛ أقصد في اكتشاف الأسرار.

في نهاية التقرير، بدا رجل الأخبار حزينا للغاية وتمنى للمديرة أن ترقد في سلام. يا للغباء! لقد كانت في تلك اللحظة قد تحولت إلى عصيدة داخل بطون النمور، بل إنها فوق ذلك ستصبح في النهاية برازًا لها. لترقد في سلام؟ يا سلام! ربما أن ساقها اليسرى فقط هي ما سيرقد في سلام.

كان يولكاوت يشاهد معي الخبر ولما انتهت النشرة، قال لي أمورًا غامضة. في البداية:

-اااه. لقد جعلوها تنتحر.

بعدها لما انتهى من الضّحك أضاف:

-فكر بشكل سيئ وستصيب.

ينطق يولكاوت أحيانا عبارات غامضة ومُلغزة. حينما يفعلها، ما من نفع من أي سؤال أوجهه إليه حول ما يقصده، لأنه لا يجيبني أبدا. يرغب في أن أحل اللّغز بنفسي.

قبل ذهابي إلى الفراش، بحثت في القاموس عن كلمة «سمعة». ما فهمته أن «سمعة» تعني أن يمتلك الناس فكرة جيدة عنك، أن تظن أنك الأفضل. في هذه الحالة، يُقال إن لديك سمعة. إنه أمر مثير للشفقة.

اليوم أشعر بملل مُتفجّر إلى أقصى درجة. أشعر بالملل لأنني لا

أخرج من القصر ولأن كل الأيام متشابهة:

أستيقظ في الثامنة، أستحم وأتناول إفطاري.

أتلقّى دروسي من التاسعة للواحدة مع ماثاثين.

ألعب بالبلاي ستيشن من الواحدة إلى الثانية.

نأكل من الثانية إلى الثالثة.

أؤدي فروضي وأبحاثي من الثالثة إلى الخامسة.

أفعل أي شيء يخطر على بالي من الخامسة إلى الثامنة.

نتناول العشاء في الثامنة.

في التاسعة، أشاهد التليفزيون مع يولكاوت. بعدها، أذهب في العاشرة إلى غرفتي لقراءة القاموس والنّوم.

في اليوم التالي يتكرر الشيء نفسه. أيام السبت والآحاد هي أسوأ لأنني أقضي اليوم بطوله أفعل أي شيء يحلو لي: زيارة حيواناتنا، مشاهدة الأفلام، التحدّث سرًا مع ميثلي، لعب البلاي ستيشن، تنظيف القبعات، مشاهدة التليفزيون، إعداد قوائم بالأشياء التي أرغب في أن يشتريها لي ميثلي.. أحيانًا يكون الأمر مسلّيًا، لكن في مرات أخرى مشؤومًا. بسبب بارانويا يولكاوت لم أخرج من القصر منذ أيام كثيرة: أحد عشر يومًا.

لقد بدأ كل شيء حين أذاعوا في النشرة أن جنودا يبحثون عن المخدّرات: حينها قال تشيتشيلكوالي ليولكاوت:

-مشاكل يا زعيم.

فأخبره يولكاوت ألا يكون أحمق. في اليوم التالي نقلوا في التليفزيون أنهم أرسلوا فجأة مجموعة من الرجال الموجودين في سجن في المكسيك ليعيشوا في أحد سجون دولة الولايات المتحدة. تابع يولكاوت الخبر باهتمام إلى درجة أنه طلب مني أن أخرس. كانوا يذيعون قائمة بأسماء الرجال الذين يعيشون الآن في سجن دولة الولايات المتحدة. حينما انتهت النشرة، قال يولكاوت واحدة من عباراته الغامضة والمُلّغزة. لقد قال:

-فلنستعدّ للمضاجعة.

كانت عبارة شديدة الغموض، لأن تشيتشيلكوالي نفسه ظلّ صامتًا بينما ظهر على وجهه أنه يحاول فكّ شيفرة هذا اللغز.

بداية من هذه اللّحظة، باتت هناك جثث كل يوم في التليفزيون. لقد ظهرت جثّة حديقة الحيوان، جثث لشرطيين، لتجار مخدرات، لعناصر في الجيش، لساسة، ولأبرياء حمقى. ظهر الحاكم والرئيس في التليفزيون ليخبرانا نحن المكسيكيين والمكسيكيات ألا نقلق وأن نتحلى بالهدوء. يولكاوت هو الآخر لم يخرج من القصر. كان يقضي وقته يتحدث عبر الهاتف لإصدار الأوامر؛ أما ميتلي وتشيتشيلكوالي فقد خرجا بالفعل منه. قال ميتلي إن هناك فوضى عارمة في الخارج، ومشاكل قد تُخصي المرء، أما يولكاوت فبات يرغب في أن نسافر لفترة ما إلى مكان بعيد بحثًا عن الحماية. سألني أين أودّ أن أذهب ووعدني بتنفيذ طلبي. أوصاني ماثاتثين بأن أطلب منه السفر إلى إمبراطورية اليابان، فلو ذهبنا إلى هناك قد يمكنه التعرف على ياباني أبكم، لكن أنا

أرغب في السفر إلى دولة ليبيريا للذهاب في سفاري وأسر فرس نهر ليبيري قزم.

كان ماثاتثين يقرأ لي قطعًا من كتاب قديم يحاول توقع المستقبل. إنه كتاب ألفه رجل منذ سنوات عديدة محاولًا تخيل الفترة التي نعيش فيها الآن. وفقا لما أسمعه، فالأمر مسلّ جدًا لأن الكاتب تنبأ بأمور كثيرة تحدث اليوم، مثل زراعة الشعر أو الاستنساخ، لكن ماثاتثين يظن أن الأكثر تسلية هي الأمور التي لم يتنبأ بها الكاتب؛ مثل مسألة القبعات، ففي الكتاب يسير كل الأشخاص مرتدين قبّعات. يبدو الأمر مضحكا له لأن الكاتب تمكن من تخيل أشياء صعبة وعجز عن توقع أن الناس سيتوقفون عن استخدام القبّعات، وكأننا كنا سنسير جميعا مرتدين قبّعات الـ«تشارّو»[16]. مسكين هو ماثاتثين! يعرف المثقفون فعلًا أمورًا كثيرة عن الكتب، لكنهم لا يعرفون حقًا شيئًا عن الحياة. هذا لم يكن خطأ من الكاتب. إنه خطأ من الإنسانية كلّها.

لديّ قبّعات «تشارّو» كثيرة: ست؛ واحدة منها مشهورة للغاية لأن هناك فارسًا استخدمها في فيلم قديم جدًّا. لقد أهداني يولكاوت القبّعة في عيد ميلادي العام الماضي وبعدها شاهدنا الفيلم بحثًا عنها. يدور الفيلم حول فارسين يتشاجران حول امرأة. إنه فيلم سخيف للغاية، لأنهما بدلا عن الشّجار بالرّصاص، يتشاجران بالأغاني التي ليست حتى أغاني رجولية، مثل أغنية الملك. هذا هو ما لا أفهمه: إن كانا فارسين ورجلين فعلًا، لماذا يغنّيان أغنيات عن الحب كأنهما من معشر

16. قبعات مكسيكية تراثية ضخمة للغاية ولها شكل دائري وكان يرتديها الفرسان المكسيكيون الذين عُرفوا أيضًا بالاسم نفسه "تشارّو". يرتديها بعض المكسيكيين الآن رمزا للوطنية. (المترجم).

الشّواذ؟

ربما لهذا السّبب لم يعد أحد يرغب في ارتداء القبّعات؛ لأن هناك أشخاصًا فعلوا أمورًا حمقاء ومنها ارتداء قبّعات الـ"تشارّو" والتّصرّف كشواذ، فانتهت سمعتها الجيّدة. أما الفيلم، ففي نهايته، يكون كلّ فارس مبتهجًا مع امرأة مختلفة، بل ويصبحان صديقين وسعيدين للأبد. إنها مسألة سخيفة برُمّتها.

المشكلة أن هذا هو الفيلم المفضّل ليولكاوت ويجبرني على مشاهدته كلما رغب في الأمر. لقد شاهدناه مرات كثيرة. عشرين مرةً على أقل تقدير ودون رغبة مني بتّ أحفظه من الذاكرة. أسوأ شيء حينما يذهب فارس أسفل نافذة امرأة ويقول لها أمورًا عن الحب: "عيناك كضياء النّجوم. إنهما نجمتان براقتان تضيئان ظُلماتي. أعرف أنني لا أستحقك، لكن الحياة دونك عذاب وموت أبدي". إنه أمر مثير للشّفقة.

واحدة من قبّعات الـ«تشارّو» الأخرى الموجودة لديّ أهداها إلي ميتلي بالمثل في عيد ميلادي الماضي. كان عيد ميلادي الأخير مشؤومًا. لقد أهدوني قبّعات تشارّو كثيرة كأنني من ضمن الوطنيين. لقد صنعوا هذه القبعة في قرية ميتلي الذي يقول عنها إنها مليئة بفرسان الـ«تشارّو». إنها كذبة، لأنه كي ينطبق عليها هذا الوصف لا بُد أن يعيش بها على الأقل ألف فارس «تشارّو». ذات يوم، منذ فترة بعيدة، صحبني ميتلي إلى قريته ولم نرَ أي حصان، أو أي شخص يستخدم قبّعات الـ«تشارو». صفر! لكن ما هو صحيح أننا وجدنا محلات كثيرة لقبّعات الـ«تشارو» وأشياء تتعلق بالأحصنة. هناك محلّ كان اسمه

الـ«تشارّو»، وآخر اسمه «عالم فرسان التشارّو»، وثالث اسمه «أغراض فرسان التشارّو» ورابع اسمه «تشارّيتوز»، لكن لم يكن هناك أي فارس تشارّو، وإنما مجرد أشخاص يلتقطون صورًا ويشترون سلاسل مفاتيح وبطاقات بريدية.

فارس الـ«تشارّو» الوحيد الذي رأيته كان تمثالًا في مدخل القرية. كان مثيرًا للشّبهات لأنه بدا كأنه يرقص الباليه كالشّواذ، حتى أنه لم يكن يرتدي قبّعة. لقد قال لي ميتشلي إنها قد سُرقت، إذ استيقظوا ذات يوم ولم يجدوها على رأسه. لا بد أن اللص كان ممن يعتقدون أن فرسان الـ«تشارّو» لا يجب أن يكونوا من الشواذ.

على أي حال كان ميتشلي سعيدًا بتعريفي على قريته المشكوك أساسًا في ارتباطها بفرسان الـ«تشارّو». الحقيقة أن الكنائس كانت أكثر شيء موجود في القرية. كانت هناك كنائس كثيرة إلى حدّ قد يجعلها قرية للكهنة وليس لفرسان الـ«تشارّو». لقد بدا ما قلته لميتشلي مضحكًا للغاية وأخبرني أنها بالفعل قرية للكهنة، لكنّهم كهنة «رجال جدًا». بعدها أشار إلى طفل يسير في الشارع وقال لي:

-انظر، انظر، هذا هو ابن المُطران.

مشكلة قبّعات الـ«تشارو» أن الفرسان فقط هم من يجب أن يرتدوها. طرفاها عريضان للغاية إلى درجة أنّها ربما تكون الأعرض في العالم. أعتقد أنه لو كانت هناك قبّعة أعرض منها لما أصبحت قبّعة، وإنّما مظلّة. إن لم تكن من فرسان الـ«تشارّو» وارتدَيْتها فقد تُصاب بالدُّوار وتسقط أرضًا، وبعدها وأنت على الأرض، ولأنها فوق

رأسك، سيصعب عليك أن تنهض. هناك أشخاص آخرون يرتدونها ويصبحون مجانين؛ ليس في مسألة غزو البلاد كما يحدث مع القبعات ثلاثية القرون، وإنما في الواقع من أجل إطلاق الرصاص نحو السماء فقط والصّراخ بعبارات وطنية.

فرسان الـ«تشارّو» الحقيقيون لا يسقطون أو يصيبهم الجنون. يبقون تحت ظلّ قبعاتهم، بكل غموض كأنهم لغز.

من يعرف من أي شيء يختبئ فرسان الـ«تشارّو»!

من يعرف أي شيء يخطّطون له!

اليوم كانت هناك جثّة غامضة في التليفزيون: لقد قطعوا رأس الرجل حتى دون أن يكون ملكًا. لا يبدو أن من فعلها فرنسيون، وهم كما نعرف يحبون قطع الرؤوس كثيرا. بالمناسبة، يضع الفرنسيون الرّؤوس في سلّة بعد بترها. لقد شاهدت هذه المسألة في فيلم؛ يضعون السلّة عند المقصلة أسفل رأس الملك، ثم يُسقطون النصل ليقع رأسه المقطوع فيها. لهذا يروقني الفرنسيون كثيرًا، فهم دقيقون للغاية، إضافة إلى أنهم يخلعون التاج من رأس الملك كي لا ينبعج، إذ يقلقون من أن يفلت الرأس ويتدحرج. بعدها، يُسَلِمون الرأس لامرأة كي تبكي؛ لملكة أو أميرة أو شيء من هذا القبيل. إنه أمر مثير للشّفقة.

في المكسيك، لا نستخدم السّلال للرؤوس المقطوعة، بل نُسَلِّمها في صندوق من نبيذ البراندي المُعتّق. يبدو أنه أمر مهمّ، لأن الرجل في النشرة شرع يكرّر مرة تلو الأخرى أن الرأس المقطوع تمّ إرساله في صندوق من نبيذ البراندي المُعتّق. الرأس كان لرجل شرطة؛ رئيس كل

رجال الشّرطة أو شيء من هذا القبيل. ما من أحد يعرف أين ذهبت بقيّة أجزاء الجثّة.

لقد عرضوا في التليفزيون صورة للرأس والحقيقة أن طريقة قَصّ شعر الرجل كانت قبيحة للغاية. شعره طويل وبعض خصلاته شقراء بفعل الصّبغة. إنه أمر مثير للشّفقة. هنا فائدة أخرى للقبعات: إخفاء الشّعر؛ وليس فقط حينما يتعلق الأمر بقصّاته القبيحة، بل بإخفائه دائمًا حتّى في حالة تصفيفه بشكل جميل، لأن الشعر جزء ميّت من جسد الإنسان. أقصد أنك حين تقصّ شعرك مثلا، فإنه لا يؤلمك، والسبب وراء هذا أنه ميت. حينما يجذبونك منه تشعر بألم؛ هذا صحيح، لكن ليس الشعر هو ما يؤلمك وإنما فروة الرّأس. لقد تحققت من الأمر في واحد من الأبحاث الحرة التي أجريتها مع ماثاتثين. الشعر جثّة تحملها فوق رأسك وأنت حي. فوق هذا، فهو جثة متفجّرة لأنه ينمو وينمو دون توقف، وهو أمر قذر للغاية. ربما حين تصبح جثة، لا يصبح الشّعر قذرًا، لكن قبلها لا. هذا هو أفضل شيء في أفراس النهر الليبيرية القزمة: إنها صلعاء.

لهذا السّبب ليس لديّ شعر. يحلق يولكاوت شعري بالآلة بمجرّد نموّه. الآلة مثل بقيّة آلات جزّ العشب التي يستخدمها أنكاتل، إلا أنّها صغيرة. الشّعر مثل الحشائش الضّارة ويجب مكافحته. يبدي يولكاوت استياءه أحيانًا لأنّني أطلب منه أن يقصّ شعري بفوارق زمنيّة صغيرة. من المؤكد أن الصُّلعان أشخاص محظوظون للغاية.

هذه هي الأشياء التي يُمكن إخفاؤها داخل قبّعة مُحقق: الشعر،

أرنب طفل، مسدّس صغير يعمل بطلقات شديدة الصغر، وجزَرة من أجل الأرنب. قبّعات المحققين ليست جيدة كمخبأ. لن تتّسع إن كنت في حاجة إلى إخفاء بندقيّة تعمل بطلقات ضخمة. أفضَل القبّعات الموجودة لإخفاء الأشياء هي تلك العالية؛ مثل قبّعات السّحرة، لكنّ قبّعات المحقّقين جيّدة لحلّ الألغاز والأحاجي. لديّ قبّعات محقّقين كثيرة: ثلاثة. ألبسها في كلّ مرة أكتشف حدوث أمور غامضة في القصر، ثم أبدأ تحقيقاتي.. في سرية. لا ترتبط المسألة بالأبحاث الحرة التي أفعلها مع ماثاتين لأنه لا صلة لها بالكتب. لا تظهر في الكتب الأمور المرتبطة بالحاضر، وإنما الماضي والمستقبل، وهذا عيب كبير فيها. لا بُد أن يبتكر أحدهم كتابًا يُخبرك فيه عمّا يحدث في اللّحظة التي تقرؤه فيها. يبدو أن هذا أصعب من تأليف كتب تستشرف فيه المستقبل وتتنبّأ به، وظني أن هذا هو سبب عدم وجود كتب عن الحاضر، لذا على المرء دائمًا أن يذهب بنفسه ويتحقّق من الواقع.

فعل ميثتلي وتشيتشيلكوالي اليوم أمورًا غامضة، ومنها تحميل صناديق أخرجوها من الغرف الفارغة التي لا نستخدمها في شاحنة. حينها رحلا، ارتديت قبّعة المحقق واكتشفت أحد ألغاز يولكاوت. الغرف الفارغة التي لا نستخدمها مُغلقة دومًا بمفتاح، لكنهما اليوم تركا واحدة مفتوحة. لقد ظهر أننا ليس لدينا خمس غرف فارغة لا نستخدمها؛ وإنما أربع غرف لا أكثر أو ربما ولا واحدة من الأساس؛ لأن واحدة من الغرف الفارغة التي لا نستخدمها في الواقع هي حجرة للبنادق والمسدّسات.

المسدّسات مُخبّأة في صناديق والبنادق في دولاب. لم أخْذ بوقت لعدّها لأنني لم أرغب في أن يضبطني يولكاوت، لكن لا بد أن لدينا على الأقل ألف مسدّس وخمس مائة بندقية. لدينا كل الأحجام، إلى درجة أن هناك بندقية بطلقات عملاقة. هنا أدركت أنني ويولكاوت كنا نلعب لعبة الطّلقات بصورة خاطئة: بطلقة واحدة من هذه البندقية لا بُد أن تتحول إلى جثة؛ فبغضّ النظر عن مكان إصابتك فأنت ميّت؛ إلاّ أن أطلقوها على شعرك. لا بُد أن نلعب لعبة الطلقات بقول عددها، جزء الجسد وحجم الطلقة؛ فالثقب الصغير الذي قد يظل الدم يتسرب منه خمسة أيام، ليس مثل ثقب عملاق لن يستغرق الأمر معه سوى خمس ثوان. عثرت أيضا على مسدّس صغير يعمل بطلقات شديدة الصّغر، إلى درجة أنهم لو أطلقوا عليك سبعين طلقة منه في القلب لن تصبح جثة.

لو كنت أعرف ما سأعثر عليه في غرفة المسدّسات والبنادق، لم أكن لأرتدي قبّعة المحقق، وإنما أعلى قبعة في مجموعتي؛ واحدة تتسع لست أو سبع أرانب. كنت أحبّ أن آخذ بندقية الطلقات الضخمة وأخبئها أسفل القبعة، لكنني لم أتمكن سوى من أخذ المسدس الصغير الذي يعمل بالطلقات شديدة الصغر. إنه أمر مشؤوم! لكن أكثر شيء مشؤوم هو اكتشافي أن يولكاوت يخبرني بأكاذيب، لأننا لدينا غرف خاوية تبيّن في النهاية أنها غرف للمسدّسات والبنادق. مفهوم العصابات لا يدور حول الأكاذيب، وإنما التضامن والحماية وعدم إخفاء الحقائق. على الأقل هذا هو ما يقوله يولكاوت.. لكنه كاذب. أعتقد أنني بهذه الطريقة لن أحصل حتى على فرس النهر الليبيري

القزم، ولن أذهب حتى إلى دولة ليبيريا. لا بد أن هذه الأمور أيضًا من ضمن أكاذيب يولكاوت.

حينما لا أقوى على تحمّل آلام البطن -كما هو حالي اليوم- تعدّ لي ثينتيوتل منقوع البابونج. أحيانًا تكون الآلام شديدة إلى درجة أنني أبكي. بوجه عام، إنها كتشنّجات، لكن أسوأ هذه الآلام يبدو كخواء يكبر ويكبر وكأنه سيُفَجِّر بطني. أبكي دومًا مع هذه الآلام، لكنني لست من الشّواذ. أن تكون مريضًا مختلفًا عن أن تكون من الشّواذ. إن كنت مريضًا فالبكاء مسموح به؛ هذا هو ما قاله لي يولكاوت.

لدى ثينتيوتل صندوق مملوء بالأعشاب التي تساعد في الشّفاء من الأمراض؛ لديها شاي البابونج للبطن والزيزفون للتوتّر وأوراق البرتقال للتّخسيس وزهرة الآلام للتّوتّر وزهر البرتقال للهضم والناردين للتوتر وأعشاب كثيرة أخرى، كثيرة جدًّا للتوتر. يولكاوت لا يحبّ الشّاي. يقول إنّه مشروب الجبناء.

قبل ذلك كان يولكاوت يفضّل أن يأتي ميتتلي بالدكتور حين يؤلمني بطني كثيرا. كان الدكتور عجوزا إلى حدّ ما ويُهديني من وراء يولكاوت في الخفاء حلوى التّمر الهندي، وهذا رغم أنني ممنوع من التّمر الهندي، وبالمثل الفلفل الحريف. وفقا للدكتور، أنا لست مريضًا ببطني، وإنما بنفسيّتي.

أفضل شيء في الدّكتور أنّه كان يحكي قصصًا مُسلّية عن الكائنات الفضائيّة. ذات مرّة جاء الفضائيّون إلى ليون[17] في مركبتهم الفضائيّة

17. مدينة تقع في ولاية جواناخواتو في جنوب المكسيك. (المترجم).

ووصلوا إلى حقل ذُرَةٍ ليجمعوا نباتات وحيوانات. تركوا في المكان الذي هبطت فيه المركبة أثرًا محروقًا لم ينبت فيه أي نبات أو نجيل بعدها، حتى بعد مرور سنوات كثيرة؛ أربع سنوات تقريبًا، ثم جاء الفضائيّون بعدها لاختطاف طفلة، وجاؤوا بعدها مرة أخرى وحلقوا ساعةً فوق أجواسكاليينتيس[18].

لم يعد الدكتور يأتي لأن بولكاوت غضب منه. وفقا لميتشلي، قال الدكتور لبولكاوت ذات مرة إنني في الواقع لست مريضًا ببطني، وإن هذه الآلام موجودة لأنني ليس لديّ أم، وإنني في حاجة إلى دكتور نفسي. يُفترض أن اسم هذه المسألة عِلّة نفسية جسدية، وتعني أن عقلك مريض، لكني لم أكن مريضًا في عقلي، لأن عقلي لم يؤلمني قَطّ.

هناك جلبة كبيرة في التلفاز لأنهم عرضوا صورة لرأس الشّرطي المقطوع. سببها ليس قصة شعره وإنما ما يلي: يرى البعض أنه يجب ألاّ يعرض التليفزيون صورًا لرؤوس مقطوعة أو لجثث. بينما يرى آخرون العكس، لأن العالم كلّه يحقّ له معرفة الحقيقة. يضحك بولكاوت من هذه الجلبة ويقول إن هذه هي الحماقات التي يتسلّى بها الناس. لا أقول شيئًا، رغم أنني أظن أنها ليست حماقات. يرى بولكاوت أنها كذلك لأنه لا تهمه الحقائق والأكاذيب. أوشكت على إخباره بأن العصابات أيضا تدور حول مفهوم الحقائق، لكنني ظللت صامتًا. ما يحدث هو أنني أصبحت أبكمَ، بل وتوقّفت عن تسمية نفسي بتوتشتلي. اسمي الآن هو أوساغي وأنا ياباني أبكم.

18. مدينة تقع وسط المكسيك. (المترجم).

منذ سبع ساعات تقريبًا أصبحت أبكم وبتّ لُغزًا وأحجية. يرغب الجميع في معرفة السبب وراء امتناعي عن الحديث وإخراجي من حالة البكم. أعدت لي ثينتيوتل شاي أعشاب طعمه سيئ يُفترض أنه لعلاج حنجرتي. يفكر يولكاوت في أنني صامت لأنه لم يجلب لي فرس النهر الليبيري القزم فيخبرني بأنه يجب أن أتحلى بالصبر، لكنني لم أصبح أبكم لهذا السبب، وإنما بسبب أكاذيبه.

في الوقت الحالي، لا يمكنني أن أشرح لأحد لِمَ أنا أبكم، لأن البُكم لا يقدّمون تفسيرات؛ أو أنهم يقدمونها بأيديهم. لا أعرف لغة الأيدي الخاصة بالبُكم، لهذا أنا أبكم إلا ربع. طلب مني ماثاتثين أن نتحدث كتابيًّا وحينها قررت أن أصبح أصمّ وبالمثل أبكم في حديث الكتابة. كي تُصبح أصمّ، ما عليك فعله هو تذكر جزء كبير من أغنية وتكرارها داخل رأسك دون توقّف. لقد اخترت جزءا من أغنية الملك يقول: «وبكيت، وبكييت، وبكييت، وبكييت، وبكيييت، وبكيييت، وبكيييت، وبكيييت». بالنسبة إلى الكتابة، فالأمر أسهل: عليك أن تكون أميًّا، وبدلا عن كتابة الكلمات، تبدأ في الرّسم أو الشّخبطة. هكذا أصبحت الآن أصمّ وأبكم بشكل كامل.

ارتديت اليوم قبّعة محارب ساموراي ياباني. وضعت داخلها مسدّسي الصغير مع طلقاته شديدة الصغر. شششششش!

الأرانب تتبرّز في كرات صغيرة.

كرات مثالية ومستديرة، كذخيرة المسدّسات.

بمسدّسات الأرانب، نطلق أيضًا طلقات من البراز.

2

في الطائرة التي كانت تحلق نحو باريس، عرّفني فرانكلين غوميث على الفرنسيين. الفرنسيون مثلنا بالمناسبة. ليس لديهم رأسان أو شيء من هذا القبيل، ربما لهذا هم يسبقوننا: لأنهم مثلنا ورغم ذلك قد اخترعوا المقصلة. نحن على النقيض نستخدم السواطير لقطع الرؤوس. الفارق بين المقصلة والسواطير أن تلك الأولى مُتفجّرة، فضربة واحدة منها تقطع الرأس، لكنك حينما تستعمل الساطور تحتاج إلى ضربات كثيرة؛ أربع ضربات على الأقل. فوق هذا، ضربة المقصلة نظيفة ولا تتناثر معها الدماء.

بالمناسبة لقد بدأ فرانكلين غوميث يصبح فرانكلين غوميث بالأمس ونحن في المطار. هذا هو ما يقوله جواز سفره الصادر من دولة هندوراس؛ يقول: فرانكلين غوميث.

قبلها، كانت هناك مشكلات لأن فرانكلين غوميث لم يرغب في أن يصبح فرانكلين غوميث. ظلّ هكذا حتى تمكّن وينستون لوبيث من إقناعه. لقد كان فرانكلين غوميث يُفكر في أن هذا الاسم مثير للشبهات لهذا لن يسمحوا له بالسفر. حينها أظهر له وينستون لوبيث

قسم الرياضة في الصحيفة.

في اليوم السابق، لعبت المكسيك ودولة هندوراس مباراة كرة قدم، ولإقناعه قرأ له تشكيل منتخب دولة هندوراس: أستور إنريكيث، ماينور فيغيروا، جونيور إيثاغيرّي، ويلسون بالاثيوس، إيدي بيغا، ويلمر بيلاسكيث، ميلتون نونييث.. ظلت شكوك فرانكلين غوميث قائمة قائلًا إن سفر بعض الهندوراسيين إلى مونروفيا سيكون مثيرًا جدًّا للشّبهات. في تلك اللحظة، سأله وينستون لوبيث من الملعون في العالم الذي قد يهتم بهندوراس أو ليبيريا، فانتهت المشكلة.

لقد أخبرني وينستون لوبيث نحو عشر مرات أنني يجب أن أحفظ الأسماء دون أن أُخطئ فيها. نحن: وينستون لوبيث، فرانكلين غوميث وجونيور لوبيث. لو أخطأت، لن نتمكن من الوصول إلى مونروفيا. لدي ذاكرة جيدة للغاية. سنصل بكل تأكيد. كان نصيبي أن أصبح جونيور لوبيث، لكن فرانكلين غوميث ظل يناديني «جيه آر»[19]. أخبره وينستون لوبيث أن يتخلى عن الحماقات، لكن فرانكلين غوميث قال له إننا كي نصل إلى مونروفيا علينا أن نتصرف بشكل طبيعي، لأن الطبيعية مفيدة في حَبك الأكاذيب والخدع. يعرف يولكاوت الكثير عن الطبيعية لأنه يقول بكل طبيعية إن غرف المسدسات والبنادق خاوية! لكن هذه أمور حدثت لتوتشتلي وأرساغي، وكلاهما أبكم، أما جونيور لوبيث فليس كذلك.

تتبقّى لنا طائرتان من باريس لنصل إلى مونروفيا: واحدة ستأخذنا

---

19. الاختصار السائد كتابيًا وبالمثل في حالة النطق لاسم جونيور هو "جيه أر". (المترجم).

من أوروبا إلى أفريقيا وأخرى من أفريقيا إلى مونروفيا. يقول وينستون لوبيث إن السفر إلى مونروفيا صعب جدًّا كالسفر في قارب إلى لاغوس دي مورينو. لاغوس دي مورينو هي قرية ميتشلي وليس فيها بحيرات أو فرسان. بها كثير من الرهبان ونهر صغير مقرف لا يمكن أن يمر فيه قارب صغير بمحرك. يقول فرانكلين غوميث إن السّفر إلى مونروفيا صعب كالسفر من بلد في العالم الثالث إلى بلد آخر في العالم الثالث.

يسافر فرانكلين غوميث إلى مونروفيا معنا لأنّه يُجيد تحدث الفرنسية والإنجليزية. مونروفيا هي عاصمة دولة ليبيريا وفيها تعيش أفراس النّهر الليبيرية القزمة ويتحدث أهلها الإنجليزية. في الطائرة نحو باريس، تحدث فرانكلين غوميث بالفرنسية مع خادمات الطّائرة الفرنسيات[20]، وقضى وقته يشرب الشّمبانيا مع الفرنسيين. قال له وينستون لوبيث أن يستمتع بالدّرجة الأولى، لأنها ليست للميّتين من الجوع مثله. خادمات الطائرة الفرنسيّات ينطقن حرف الرّاء بصورة غريبة للغاية، وكأنّ حناجرهنّ تؤلمهنّ أو كأن الحرف يختنق في رقابهنّ. إنه أمر مثير للشفقة. ربما أن الفرنسيين تؤلمهم رقابهم بهذا الشكل بسبب قطعهم لرؤوس الملوك.

ابتهج فرانكلين غوميث كثيرًا حين هبطنا في باريس وقال إننا وصلنا إلى أرض الحرية والأخوّة والمساواة. يبدو أن قطع رؤوس الملوك هو ما يجب فعله لتحقيق هذا الأمر، لكن وينستون لوبيث لم يقل له

20. وردت في النص الأصلي "las sirvientas francesas del avión" والتي تعني ترجمتها الحرفية "خادمات الطائرة الفرنسيات". وهنا تنجلى الطرافة حيث أن توتشتلي الطفل المدلل ابن تاجر المخدرات في ظل ضيق نظرته للعالم يعتبر أن المضيّفات مجرّد خادمات. (المترجم).

سوى:

-فرانكلين.. لا تكن أحمقَ.

أول ما فعلناه في مونروفيا كان الحصول على مرشد مونروفي. يُدعى جون كينيدي جونسون وتحدث بالإنجليزية مع فرانكلين غوميث. هناك ثلاثة فوائد للمرشد المونروفي: ألاّ تتوه في مونروفيا، ألا تتعرض للقتل في مونروفيا والعثور على أفراس النّهر الليبيرية القزمة. لهذا يقبض منّا نقودًا كثيرة؛ إنها ملايين حسب ما أظن، وذلك لأن العثور على أفراس النّهر الليبيرية القزمة ليس سهلًا حتى وأنت في ليبيريا. يقول جون كينيدي جونسون إنها على حافة الانقراض. الانقراض يعني أن يموت الجميع وهي مسألة لا تسري فقط على أفراس النّهر الليبيرية القزمة، بل كل الكائنات الحيّة، بما فيها الهندوراسيين مثلنا.

أفضل شيء في الوقوف على حافة الانقراض، أن الكل لا يموت وإنما أغلبهم، لكن عدد أفراس النهر الليبيرية الحية قليل: ألف أو ألفان. فوق هذا، هناك مشكلة أخرى وهي أنها تعيش مختبئة في الغابات. وكأن كل هذا لا يكفي فهي لا تعيش في قطيع، بل منفردة أو كل اثنين أو ثلاثة معًا. عمل جون كينيدي جونسون يتعلق بهذا؛ بالعثور على الحيوانات التي يصعب العثور عليها. يرغب زبائنه في اصطياد الحيوانات فيذهب بهم إلى أماكن وجودها. يقتلها الصّيّادون بالطّلقات، وبعضهم يقطع رؤوسها ويأخذها معه ليعلّقها كزينة فوق المدفأة في المنزل. أما الجلد، فيصنعون منه بساطًا لتنظيف أحذيتهم. نحن لا نرغب في قتل أفراس النّهر الليبيرية القزمة بالرصاص. نود

فقط أن نأسر واحدًا أو اثنين لنأخذه أو نأخذهما معنا ليعيش أو ليعيشا في قصرنا.

ليكون السفاري جيدًا، أوصانا جون كينيدي جونسون بأن نعكس توقيتنا. يقول إن هذا هو التصرف الأفضل، إن كنا نرغب في امتلاك طاقة كافية للبحث عن أفراس النّهر الليبيرية القزمة. عكس التوقيت يعني أن تنام نهارًا وتعيش ليلًا. ما يحدث أن العثور على أفراس النّهر الليبيرية القزمة أسهل ليلًا لأنها تخرج من مخابئها بحثًا عن الطعام. عكس المواعيد سهل بالنسبة إلينا، لأنه يعني أن ننام بعد موعد الإفطار في مونروفيا وهو موعد الفجر في المكسيك والاستيقاظ مساء في مونروفيا، وهي ساعة الإفطار في المكسيك.

حينما استيقظنا، جلبت خادمات فندقنا (مامبا بوينت) الطّعام إلى غرفتنا. لقد جلبن إلينا: هامبورجر، بطاطس، لحما ناشفا وخسّا. ألقينا ذلك الأخير في القمامة كي لا نمرض بأمراض مونروفيا. الخسّ خطير. هذا على الأقل ما يقوله فرانكلين غوميث: الخسّ ينقل الأمراض. يبدو أنه مثل طيور الحمام؛ الصّديق المُقرّب للعدوى. فبمجرد أن تأكل ورقة خسّ ملوثة، إذا بك تُصاب بمرض مُتَفَجّر. الآن بعد أن فكرت، ربما أن كيتشولي أصبحت بكماء بسبب مرض ما من الخسّ الذي تحبّه كثيرًا.

يقول فرانكلين غوميث إن جون كينيدي جونسون لديه اسم أحد رؤساء الولايات المتحدة الذي قُتل بعد أن أطلقوا الرصاص على رأسه. كان الرئيس جون كينيدي يتنزّه داخل سيارة دون سقف حين حدث هذا. بمعنى أخرى: المقاصل للملوك والرصاص للرؤساء.

أسوأ شيء في كوني جونيور لوبيث، أنني لا أقدر على ارتداء قبّعاتي. يقول وينستون لوبيث إن المسألة تتعلق بعدم لفت الانتباه ونحن في مونروفيا. قبّعاتي تظلّ في القصر محفوظة في غرفتها. الجوّ حار في مونروفيا، لكن أشعر ببرودة كبيرة في رأسي، لهذا اشترى لي وينستون لوبيث قبّعتيْ سفاري أفريقيتين من محلّ التّذكارات بفندق (مامبا بوينت). تبدو القبّعتان مثل الأطباق الطّائرة التي يستخدمها الفضائيون. واحدة لونها كاكي والثانية أخضر زيتوني، وهما لونان للتّمويه الذي يساعد على الاختفاء.

قبّعات السفاري الافريقية هي القبعات التي يستخدمها صيادو الحيوانات وهي جيدة للبحث عن أفراس النهر الليبيرية القزمة. في الواقع، هي مفيدة للبحث عن أي حيوان سواء كان أسدًا أو حتى خرتيتًا. إنها مثل قبّعات المحققين المفيدة في التحقيقات، لكن تخصّصها هو الحيوانات.

في العاشرة صباحًا بتوقيت مونروفيا، مرّ جون كينيدي جونسون لاصطحابنا من فندق (مامبا بوينت) في سيارته الجيب لنقوم بعمل السفاري. رحلات السفاري تسير كالتالي: تركب في سيارة جيب وتدخل وسط الغابة، وسط الأحراش، وسط المستنقعات للبحث عن الحيوانات. هناك سفاري لقتل الحيوانات وأخرى لأسرها. هناك أيضا نوع آخر هدفه الوحيد هو مشاهدتها، وذلك لتجنب انقراضها. يقول وينستون لوبيث إن تلك الأخيرة هي فعل يليق بالشّواذ. بخلاف الجيب، لا بدّ من استخدام شاحنة مزوّدة بأقفاص لإبقاء الحيوانات فيها. يقود هذه الشاحنة شريك جون كينيدي جونسون واسمه مارتن

لوثر كينغ تايلور.

تقفز سيارة جون كينيدي جونسون الجيب كثيرًا بينما نقطع الطرق الواصلة بين مونروفيا وغابات ليبيريا. تقفز حين نسقط في حفرة وتقفز حين نخرج منها. بعدها تسوء الأمور لأن غابات ليبيريا لا يوجد بها طرق. دخلنا بين الأشجار ومن كثرة المرات التي قفزت فيها الجيب لم نعد نشعر بأنها تقفز؛ كأننا نطير. لدى جون كينيدي جونسون كشافان خاصان لإضاءة غابات ليبيريا، وبهما سنبحث عن أفراس النهر الليبيرية القزمة. لم نتمكن من العثور عليها. في اليوم الأول رأينا: ظباء، قرودًا وخنازيرَ. في اليوم الثاني: رأينا ظباءً وأفاعيَ بل ونمرا مرقّطا. في اليوم الثّالث: رأينا ظباء وقرودا، لكن بالنّسبة إلى أفراس النّهر اللّيبيرية القزمة فما رأيناه منها كان صفرًا.

يبدو أن قبعتي السفاري الافريقيتين اللتين أستخدمهما لا تفيدان في شيء، لأنهما ليستا أصليتين؛ وهذا لأننا اشتريناهما من محل تذكارات وليس من متجر قبّعات، وكل هذا بسبب بارانويا يولكاوت. لو كان قد تركني أجلب معي قبّعات المحقق، لكنّا قد عثرنا بكل تأكيد على أفراس النهر الليبيرية القزمة.

أسوأ شيء أننا نشعر بملل شديد حينما لا نكون في السفاري. نبقى طوال الوقت محبوسين في فندق (مامبا بوينت) لأنه لا يوجد أي شيء لنراه في مونروفيا. نحن نشعر بملل شديد إلى درجة أن فرانكلين غوميث يُعلّمني كل ألعاب الورق الموجودة في العالم. ربما لكان من الأفضل أن نسافر إلى إمبراطورية اليابان. هناك كنا لنبحث عن البُكم

اليابانيين نهارًا، وداخل المدن، لكننا جئنا إلى ليبيريا لنبحث عن أفراس النهر الليبيرية القزمة التي يبدو أنها قد انقرضت. يقول وينستون لوبيث إنه كان من الأفضل أن نذهب إلى لاس فيجاس لو أردنا لعب الأوراق. دولة ليبيريا هي خراء ملعون.

يقول فرانكلين غوميث إن مارتن لوثر كينغ تايلور اسمه كرجل ما في الولايات المتحدة قتلوه هو الآخر بالرصاص. يبدو أن أهل ليبيريا يحبون كثيرًا استخدام أسماء الجثث الميتة.

مشروب الروم في دولة ليبيريا يأتي في زجاجات داكنة، وكأنه سمّ، لكنه جيد للغاية للقضاء على الملل. لو أخذت كوبًا، ستشعر برغبة في الضحك ولو زاد العيار، ستبدأ في إلقاء النكات. في فندق (ماميا بوينت) يُمكنك أن تطلب زجاجات مشروب الروم الليبيري في أي ساعة، حتى ولو كانت الرابعة صباحًا. اليوم، لدى عودتنا من رحلة البحث عن أفراس النهر الليبيرية القزمة، طلبنا زجاجتين.

لم نكتشف بعد مكان أفراس النهر الليبيرية القزمة، بل إن كل ما رأيناه اليوم كان قطيعًا من الكلاب البرّية. يقول وينستون لوبيث إننا لو كنا نرغب في رؤية كلاب الشّوارع، لبقينا في المكسيك. لقد أطلق عليها النار بكل شجاعة. حاولت الكلاب الهرب، إلا أن تصويب يولكاوت جيد للغاية. كان ليقتلها كلها لو أن ماثاثين لم يقنعه بأن يتوقف عن إطلاق النار ويذكره بأن المسألة ترتبط بعدم لفت الانتباه.

الحقيقة أننا قد مللنا من البحث عن أفراس النهر الليبيرية وعدم عثورنا عليها، لهذا طلبنا زجاجتين من مشروب الروم الليبيري. في

الواقع، لقد طلبهما وينستون لوبيث وفرانكلين غوميث، لكنّهما سمحا لي بالاشتراك في حفلهما. يُشرب الروم الليبيري مع الكوكاكولا وبعض الثلج. اسم هذا الخليط «كوبا». تضع في الكوب الثلج، تملأ نصفه بالروم الليبيري والنصف الآخر بالكوكا كولا. يُفضّل فرانكلين غوميث أن يتناوله ساخنًا دون ثلج. يقول إن الثلج في فندق (مامبا بوينت) قد يحتوي على أمراض مونروفيا المتفجّرة، أما وينستون لوبيث فيفضّل أن يمرض على تناول خليط الـ«كوبا» السّاخن الذي يبدو مذاقه دون ثلج كالخراء. تدور نكات وينستون لوبيث غالبًا حول الغاليثيين[21] وهم أشخاص شديدو السخافة. هناك حاجة إلى ثلاثة غاليثيين لتغيير الحبكة. يخلط الغاليثيون الأمور دائمًا ويصلون إلى حلول غريبة. هناك أيضًا نكات حول الدول وتبدأ دائما بالصورة نفسها: «مرة كان في واحد إسباني، وأمريكي وروسي». قد يتغيّر الرّوسي ويصبح أحيانًا إسبانيًا، فرنسيًا أو ألمانيًا. مع كل نكتة كان فيها روسيّ، قال غوميث إنها قديمة لأن الروس لم يعودوا شيوعيين، لكن وينستون لوبيث كان يقول له ببساطة:

-فرانكلين.. لا تكن أحمقَ.

أفضل شيء أن مسألة حماقته بدأت تقلّ؛ أو أن هذا هو ما قاله وينستون لوبيث؛ يقول تحديدًا إن مسألة حماقة فرانكلين جوميث تقلّ

---

21. وردت في النص الأصلي "los gallegos" ومعناها الحرفي "الغاليثيون" أي الأشخاص المنتمون إلى إقليم "غاليثيا" في شمال إسبانيا. لكن تُستخدم هذه الكلمة في بعض دول أمريكا اللاتينية للإشارة إلى الأشخاص الذين يتمتعون ببراءة فطرية ويسهل الضّحك عليهم. يُمكن مقاربة هذا الأمر تحديدًا مع بعض النكات في الدول العربية التي تستخدم أشخاصا من مدن أو دول معينة للإشارة إلى معان باطنية كالبخل، الغباء، الثراء وخلافه. (المترجم).

نوعًا ما مع السّكر.

أكثر نكتة أعجبتني كانت عن مجموعة من رجال الشرطة المكسيكيين جعلوا فرس نهر يعترف بأنه أرنب. لم يكن فرس نهر ليبيري قزم، بل فرس نهر طبيعي. كانت هناك مسابقة بين شرطة (إف بي آي) من دولة الولايات المتحدة وشرطة (كيه جي بي) من دولة روسيا، والشرطة القضائية المكسيكية يفوز بها أول من يعثر على أرنب وردي في الغابة. في نهايتها وصلت الشرطة القضائية ومعها فرس نهر مطليّ باللون الوردي وهو يقول:

-أنا أرنب. أنا أرنب.

هذه حقّا نكتة، لكنْ فيها شيء من الحقيقة.

لهذا أعجبتني كثيرا، لأنها لم تكن نكتة.

يعرف العالم كله أن الأرانب الوردية ليست موجودة في الواقع.

أفضل شيء في حافة الانقراض أن الانقراض لم يحدث بعد. اليوم، أخيرا، عثرنا على أفراس النهر الليبيرية القزمة، رغم أنني لم أكن أرتدي أي قبعة. كان رأسي مكشوفًا بينما أتحمل البرد كمعشر الرجال. كانا اثنين وبدت أُذنا كلّ منهما كما تخيلتها: صغيرة كطلقات المسدس الصغير.

حينما رأيناهما كانا وسط مستنقع من الطّمي يأكلان الحشائش الضّارة. إنهما حيوانان يحبّ المرء أن يراهما؛ كأنهما طفلان لخنزير وفرس بحر؛ أو خنزير وخروف بحر. أطلق عليهما جون كينيدي جونسون طلقات من بندقيته الخاصة كي يناما. طلقات هذه البندقية عبارة عن

حقن بها مادة سامة تجعل الحيوانات تنام كي نأسرها. أخذ أحدهما الحقنة في ظهره والآخر في رقبته. بعدها بثوان، رقدا في الوحل وناما، ثم رفعهما جون كينيدي جونسون ومارتن لوثر كينغ تايلور وفرانكلين غوميث ووينستون لوبيث إلى داخل الأقفاص في الشّاحنة. رغم أنهما قزمان، إلا أن وزنهما كبير؛ أكثر من ألف كيلو على أقل تقدير، أي ما يعني طنّا.

بعدها عدنا إلى فندق (مامبا بوينت) قفزًا، ثم جرى نقل فرسيْ النّهر الليبيريين القزمين إلى ميناء مونروفيا لشحنهما في سفينة قراصنة إلى المكسيك، إلاّ أن وصولهما سيتأخّر كثيرًا؛ نحو أربعة شهور أو أكثر، لأن الذهاب من ميناء مونروفيا إلى ميناء بيراكروث مباشرة أمر غير ممكن. لابدّ من التوقّف في مدن كثيرة قبل الوصول للمكسيك.

نحن أيضا سنرحل. لقد أمر وينستون لوبيث فرانكلين غوميث أن يبحث عما حدث خلال الأيام الماضية في المكسيك؛ أن يبحث تحديدًا عن خبر بخصوص رجل يدعى «الأمارّييو»[22]، فذهب فرانكلين غوميث إلى كومبيوتر فندق (مامبا بوينت) وحين عاد لم يقل سوى:

-آهاااا.

حينها ضحك وينستون لوبيث بطريقة غريبة للغاية. أعتقد أن هذا معناه أن رحيلنا قد أصبح ممكنًا.

22. تعني هذه الكلمة "الأصفر". في أمريكا اللاتينية. وبالأخص في المكسيك وكولومبيا. ثمة عادة في عالم تجار المخدرات بإطلاق أسماء مستعارة على أباطرتها. فعلى أرض الواقع كان اسم شهرة بابلو إسكوبار في كولومبيا على سبيل المثال هو "El patrón" أي "الزعيم". وخواكين غوثمان لويرا زعيم عصابة سينالوا المكسيكية يُطلق عليه "El chapo" أو "القصير".

أهمّ شيء الآن هو أن يصل فرسا النّهر الليبيريان القزمان بسلامة إلى المكسيك. لهذا يجب التّخطيط لكل شيء بحذافيره وإعطاء أوامر دقيقة. لا بد أن تكون حزم البرسيم التي سيأكلها فرسا النّهر الليبيريان القزمان طاهرة وخالية من العدوى. أعتقد أن كلّ واحد منهما سيحتاج إلى حزمة يوميًا، أو ربما أكثر. أمرنا أيضًا بأن يُقدّموا إليهما تفّاحًا وعنبًا، فهما يحبّانه كثيرًا. أعددت قائمة: عشرون تفاحة وثلاثون عنقود عنب كل يوم، للرأس الواحد. هذا الخليط من البرسيم والتفاح والعنب سينتج عنه سَلَطَات عملاقة.

ترجم فرانكلين غوميث إلى الإنجليزية قائمة الأوامر وسلّمناها إلى جون كينيدي جونسون كي يسلّمها إلى القراصنة. يقول جون كينيدي جونسون إننا كنا محظوظين لأننا أسرنا ذكرًا وأنثى. فائدة القائمة أيضًا أن فيها أوامر بتحميم فرسيْ النهر الليبيريين القزمين ثلاث مرات في الأسبوع وتنظيف أذنيها الصّغيرتين. بالحديث عن الأكل، سيسعد أثكاتل بفرسيْ النهر الليبيريين القزمين، لأنهما سيساعدانه في القضاء على الحشائش الضارّة في حديقة قصرنا.

سألني فرانكلين غوميث إن كنت قد فكرت في اسمين لفرسيْ النهر الليبيريين القزمين. هذا كان سرّا لم أقصّه على أحد، ولا حتى ميثتلي، وهو جيد جدًا في الأسرار. كنت أفكّر في أنني سأجلب النحس إلى نفسي لو أخبرت أحدًا ولن أحصل أبدا على فرس نهر ليبيري قزم. المشكلة أنني فكرت في اسم واحد فقط. لم أفكر في اسمين، لأنني لم أتخيل أن أحصل على فرسيْ نهر ليبيريين قزمين. لا تتعلق المسألة الآن

،اختيار اسم آخر فقط، إذ يجب أن يكون وقع الاسمين معًا جيّدًا، لهذا ظللت أفكر ساعات، أصنع تركيبات، وأسجلها في قائمة.

في النّهاية اخترت الاسمين اللّذين ظللت معجبًا بهما بعد تكرارهما مائة مرة. هذه التّجربة لا تفشل أبدا: عليك بتكرار الشيء مائة مرة وإذا ظللت معجبا به فهو جيد. هذه الطريقة ليست مفيدة فقط مع الأسماء، بل مع أي شيء آخر كالطعام والأشخاص. يرى فرانكلين جوميث أن الاسمين مثيرين للفضول بالنسبة إلى فرسي نهر قزمين من ليبيريا. الفضول قريب إلى القبح؛ هذا هو ما تقوله ثينتيوتل، لكنهما ليسا اسمين قبيحين، أو مثيرين للفضول. إنهما اسمان لا تملّ أبدا من تكرارهما مائة مرة أو أكثر. وينستون لوبيث محقّ. المثقفون يعرفون أمورًا كثيرة عن الكتب، لكن معرفتهم عن الحياة هي والعدم سواء. الكتب لا تقول لك كيف تختار أسماء أفراس النهر الليبيرية القزمة. إن أغلبية الكتب تتحدث عن أمور لا تهمّ أحدًا وليس لها فائدة.

ذهبنا اليوم لنتنزّه في مونروفيا بسبب مزاج وينستون لوبيث الرائق الذي أجّر لنا شاحنة. كانت أول مرة نرى فيها المدينة نهارًا واكتشفت في الحقيقة أن ليبيريا ليست بلدا مشؤوما. إنه بلد قذر. كل الأماكن تنتشر فيها رائحة سمك مقليّ مقرفة وزيت محروق. وخلاف هذا، كانت الشّوارع مزدحمة بآلاف الأشخاص أو أكثر؛ أشخاص لا يفعلون شيئًا سوى الجلوس هنا وهناك يتحدثون ويضحكون. المنازل أيضًا كانت قبيحة جدًا. مونروفيا ليست مدينة منمّقة مثل أورلاندو، التي زرناها ذات مرة في عطلة. فرانكلين غوميث يقول إن مونروفيا

تبدو مثل بوثا ريكا، وإن كنت لا أعرف إن كان هذا صحيحًا، لأنني لم أرز بوثا ريكا. سأقول إنها تبدو مثل لا تشونا.[23]

لأنّه لم يكن هناك أي شيء جيّد لنراه، بدأنا بالبحث عن الطّلقات الموجودة في الحوائط بينها نتنزّه. كانت هناك حرب منذ فترة ليست بعيدة في دولة ليبيريا. قد يبدو أمرا لا يُصدّق، لكنّنا اخترعنا لعبة؛ أساس اللعبة هو معرفة من سيكتشف الحائط الذي فيه أكبر عدد من الطلقات. عثر فرانكلين غوميث على حائط محلّ فيه 16 طلقة، وأنا اكتشفت حائط منزل فيه طلقات أكثر: 23. على أي حال، كان الفائز هو وينستون لوبيث، رغم أنه كان يقود الشّاحنة. كان حائط وينستون لوبيث موجودًا في مدرسة وبه 98 طلقة. تمكّنّا من عدّها لأننا نزلنا من الشاحنة. بدأ فرانكلين غوميث بالتقاط الصور وهو يلقي خطابًا عن الظّلم. تحدث عن الأغنياء والفقراء، عن أوروبا وأفريقيا، عن الحروب والجوع والمرض؛ وعن مسؤولية الذنب التي تقع على الفرنسيين -الذين يحبون كثيرًا قطع رؤوس ملوكهم- وعن الإسبان -الذين لا يحبون كثيرا قطع رؤوس ملوكهم- وعن البرتغاليين -الذين يحبون كثيرا بيع الأشخاص الأفارقة- وعن الإنجليز والغرينغوس الذين يحبّون في الواقع عمل الجثث بالقنابل. لم يتوقّف فرانكلين غوميث عن إلقاء خطابه، لذا أخذ وينستون لوبيث الكاميرا منه وقال له:

-لا تكن تيسًا يا فرانكلين. هذه الأمور لا تصحّ.

ذهبنا بعدها لشراء تذكارات تخصّ ليبيريا. لقد اشتريت خمس

---

23. بوثا ريكا ولا تشونا هما بلدتان تقعان في شمال المكسيك. (المترجم).

قبعات سفاري أفريقية أصليّة من محلّ متخصّص في السفاري. لها كلُّها الشّكل نفسُه، لكنّ ألوانها مختلفة: واحدة رماديّة، وأخرى خضراء زيتونيّة، وثالثة بنّيّة، ورابعة بيضاء وخامسة كاكيّة. أما وينستون لوبيث فقد اشترى من محلّ للصناعات اليدويّة تماثيل لرجال أفارقة وقناعيْ زينة لتعليقهما فوق جدران قصرنا، وبعض المجوهرات الافريقية التي لا بد أنها لكيتشولي. لقد دفعنا ثمن كلّ هذه الأشياء بدولاراتنا وربما كنا لنشتري أكثر منها، لأن لدينا ملايين من الدولارات، لكننا لم نفعل هذا لأن حقائبنا لم تكن ستتّسع لها. على النقيض من هذا، لم يشترِ فرانكلين غوميث تذكارات يجب وضعها في حقائب. لقد اشترى: التّعليم لمدة عامين لصالح أربع بنات ليبيريات، 10 لقاحات للرّضّع الليبيريين وعشرين كتابًا لمكتبة مدينة مونروفيا. لهذا السّبب اضطررنا إلى أن نذهب إلى مكتب، وبينما يملأ فرانكلين غوميث كمية كبيرة من الأوراق التي سلموها له قال لي وينستون لوبيث شيئًا غامضًا. لقد قال:

-انظر له. إنه قدّيس.

حينما عدنا إلى الفندق كان وجه فرانكلين غوميث لا يعكس إن كان يضحك أم أنه كان على وشك البكاء. لكنّه على الأقلّ كان صامتًا وهو ينظر إلى مجموعة من الإيصالات التي سلّموها له في المكتب الذي اشترى منه تذكاراته. لم يفعل وينستون لوبيث شيئًا سوى أن قال له:

-فرانكلين.. حقّا أنت أحمقُ.. أحمق جدّا.

هذا هو أكثر يوم مشؤوم في حياتي كلّها. يفترض أن شيئًا لم يكن

سيحدث سوى انتظار الغد، الذهاب إلى المطار والعودة إلى المكسيك، لكن في المساء جاء جون كينيدي جونسون وبدأ يتحدّث في أمور سرّية مع فرانكلين غوميث. بعدها ذهبنا جميعا إلى ميناء مونروفيا لزيارة فرسي النهر الليبيريين القزمين.

أخذنا نسير في ميناء مدينة مونروفيا وسط رافعات وصناديق عملاقة حتى وصلنا إلى مستودع مهجور. كان مارتن لوثر كينغ تايلور يقف عند بابه مع بندقيّته. قال لي وينستون لوبيث قبل الدخول إن هناك مشكلة، وإن فرسي النهر الليبيريين القزمين مريضان. كان يرغب في الدخول إلى المستودع وحده، لكنني لم أتركه وقلت له إن مفهوم العصابات يدور حول عدم إخفاء الأمور وإظهار الحقائق؛ فأمر وينستون لوبيث فرانكلين غوميث بأن يبقى معي منتظرا في الخارج وألا يسمح لي بالدخول. حينها ركلته ثلاث مرات وقلت له إنّه كذاب وخراء، وإنني أعرف بالفعل كذبته حول غرف المسدّسات والبنادق. داعب وينستون لوبيث رأسي بأصابعه الخالية من الخواتم وقال لي حسنًا سندخل جميعًا معًا.

كانت رائحة المستودع مقرفة جدًا. قال فرانكلين غوميث إن السّبب هو براز فرسي النهر الليبيريين القزمين. في الداخل كان المستودع شبه مظلم، لأنه لم تكن هناك نوافذ ولم يدخل النور سوى من فتحة بين الجدران والسقف الألومنيوم. كانت الأمور هكذا: الجدران مقرفة ودهانها يتساقط في قطع كبيرة؛ حين تسير تخطو طوال الوقت على أشياء تصنع ضوضاء غريبة. القفصان في نهاية المستودع وداخلهما فرسا

النهر الليبيريان القزمان. سألت أيّهما الذكر وأيّهما الأنثى، فأخبرنا جون كينيدي جونسون أن الذكر هو الموجود على اليمين، وكان أكبر من ذلك الموجود على اليسار، لكن كلّ هذا لم يعد مهمّا، لأنهما لم يعودا حيوانين يُحبّ المرء أن يراهما. رقد الاثنان بأعين مغلقة ولم يتحركا حتى. كانا متّسخين ويحوطهما الدّم والخراء. أخبرنا جون كينيدي جونسون ألا نقترب منهما كثيرا كي لا نخيفهما.

كنا ننظر إلى فرسيْ النهر الليبيريين القزمين حينما أدركت أن إيتشكواتلي كان يجب أن يأتي هو الآخر معنا إلى مونروفيا. لو جاء، لكان قدم لهما العلاج وشُفيا. في هذه الأثناء، بدأ لويس السادس عشر يتراجع ويزعق بصرخات رهيبة. كانت رهيبة لأنك حين تسمعها تشعر برغبة في الموت كي لا تسمعها. كان يصرخ بقوة شديدة، إلى درجة أن شيئًا آخر لم يكن مسموعًا، ولا حتى ضوضاء الميناء أو أصواتنا في داخل المستودع. حينما عاد الصمت من جديد، قال لنا فرانكلين غوميث إن جون كينيدي جونسون أخبره بأن أفضل شيء هو التضحية بفرسيْ النهر الليبيريين القزمين لتجنيبهما المعاناة.

انتحى بي وينستون لوبيث جانبا وكرّر لي ما قاله لنا جون كينيدي جونسون. وعدني بأننا سنحصل على أفراس نهر ليبيرية قزمة أخرى إلى درجة أنه نسي كوننا جونيور لوبيث ووينستون لوبيث حين قال لي:

-توتشتلي.. تذكّر: يولكاوت قادر على الدّوام.

بعدها طلب مني أن أخرج من المستودع مع فرانكلين غوميث. رفضت لأنني رجل والرجال لا يخافون، وأيضًا لأن مفهوم العصابات

يدور حول عدم إخفاء الأمور ومشاهدة الحقائق. حينئذ، أصدر وينستون لوبيث أوامره لجون كينيدي جونسون؛ أن يقتل فرسيْ النهر الليبيريين القزمين. ودّ فرانكلين غوميث أن يحتجّ على وجودي، قال لوينستون لوبيث ألاّ يكون قاسيًا؛ إنني صغير على مشاهدة شيء مثل هذا، لكن وينستون لوبيث أمره فقط بأن يطبق فمه الغبيّ.

اقترب مارتن لوثر كينغ تايلور من القفصين مُسلّحًا ببندقيته. ذهب في البداية إلى القفص الأيمن ووضع سلاحه عند قلب لويس السادس عاشر. تواثب دويّ الطلقة في جدران المستودع مع صرخات فرس النهر الليبيري القزم الفظيعة، لكن من يبكي كانت ماري أنطوانيت التي أفزعتها الضّجّة. لقد مات لويس السادس عشر بالفعل. بدأت قدماي ترتعشان. انتظرنا حتى توقفت ماري أنطوانيت عن الصراخ وفعل مارتن لوثر كينغ تايلور الأمر نفسه معها. الفارق فقط أنها لم تمت من طلقة واحدة؛ كانت تتحرك ولم تصل الطلقات إلى قلبها حتى أصابتها الطلقة الرابعة وحينئذ سكنت. حينها، تبين أنني لست رجلًا، وبدأت أبكي كشاذ. لقد تبوّلت أيضا في ملابسي الداخلية. أخذت أزعق بشكل فظيع كأنني فرس نهر ليبيري قزم يرغب في أن يموت كل من يسمعني كي لا يضطر إلى أن يسمعني. كانت لديّ رغبة في أن يطلقوا عليّ ثماني رصاصات في البروستاتا ليصنعوا مني جثة. رغبت أيضا في أن ينقرض العالم كلّه. جاء فرانكلين غوميث لمعانقتي، إلا أن وينستون لوبيث صرخ فيه بأن يتركني لحالي. حينما هدأت، شعرت بشيء غريب في صدري. كان ساخنًا ولا يؤلم، لكنه جعلني أفكر في أنني أكثر شخص مثير للشّفقة في الكون.

3

نحن اليابانيين نقطع الرؤوس بالسّيوف الضّالعة. إنها سيوف خاصة لها حدّ مُتفجر مثل المقاصل. تتفوّق السّيوف الضّالعة على المقاصل في أنّها تُمكنك من قطع الأذرع، السّيقان، الأنوف، الآذان، الأيدي أو أي شيء تحبه. إضافة إلى أنّه يمكنك قطع شخص ما إلى نصفين، على عكس المقاصل التي لا تقطع سوى الرؤوس. في الواقع، لا يستخدم كل اليابانيين السيوف الضالعة؛ لو قلنا إن كلهم يستخدمونها فهي مسألة كأن نقول إن كل المكسيكيين يرتدون قبّعات الـ«تشارّو». السيوف الضالعة لا يستخدمها أحد سوانا؛ نحن محاربي الساموراي.

نحن محاربي السّاموراي نخوض المعارك في الأفلام من أجل الشّرف والولاء. نُفضّل الموت على أن نكون من الشواذ، مثل فيلم «السّاموراي الهارب»، الذي يدور حول ساموراي يهرب لإنقاذ شرف ساموراي آخر؛ لكنه يفعلها لفترة قصيرة فقط، فما يريده حقّا هو

الانتقام. حياة السّاموراي مثل العصابات؛ تدور حول التّضامن والحماية.

بعدها، لم يعد السّاموراي الهارب هاربًا لأنه رجع إلى المنزل مع ساموراي آخر بالانزلاق فوق جبل جليدي. هذا هو الجزء الذي أفضّله في الفيلم. في طريق الساموراي الهارب يلتقي بأعداء يرغبون في قتله، لكنه يقطعهم إلى أجزاء صغيرة بسيفه الضالع. هناك واحد فقط قطع له ذراعا أو أذنا؛ أما البقية فرؤوسهم، وكثير منهم قطعهم إلى نصفين فافترش الجليد كله ببقع دماء الأعداء كأنه مجروش من فاكهة الكشمش الأحمر أو الفراولة. في نهاية الفيلم، يكتشف السّاموراي الهارب أن السّاموراي الآخر الذي كان يرغب في إنقاذه قد أصبح جثة، لهذا يأخذ سكينا ويدفنه داخل جسده ليُصبح جثّة هو الآخر. نحن معشر اليابانيين لسنا في حاجة إلى نهايات سعيدة في الأفلام. لسنا مثل فرسان الـ«تشارّو» الذين يحتاجون النساء والحب وينتهي الأمر معهم دائمًا وهم يغنّون بسعادة.. وهم شواذّ جدًا.

كي تصبح محارب ساموراي عليك أن ترتدي روبًا فوق ملابسك وقبعة ساموراي. قبعات الساموراي تبدو كأطباق عصائد عملاقة مقلوبة. لا بد أن تُخفي السيف الضالع داخل الروب. لم أحصل على السيف الضالع بعد، لكن سأطلبه من ميتشي. لن يوافق يولكاوت بالطبع على أن يشتروه لي؛ لهذا أعددت هذه المرة بجانب قائمة الأشياء التي أرغب فيها قائمة بالأشياء السرّية التي أرغب فيها. أنا وميتشي فقط من يعرف هذه المسألة. ميتشي سيتفهم الأمر. يولكاوت لا يفهم

شيئًا. لم يدرك حتى أنني محارب ساموراي. يرغب في أن أقلع الروب ويقول إنه لا يمكنني أن أسير طوال اليوم مرتديا ملابس مثل هذه كفتى مدلّل. يظنّ أيضًا أنّني أبكم بسبب ما حدث لفرسي النهر الليبيريين القزمين. لا تفهم ثينتيوتل أو حتى إيتشبابالوتل شيئًا. في كل مرة تريانني فيها، تقولان لي إنه عليّ أن أقلع بيجامة النوم.

ماثاتثين هو الوحيد السعيد ولهذا يدرس لي فصولًا خاصة عن أشياء مرتبطة بإمبراطورية اليابان. لقد شرح لي اليوم الحرب العالمية الثانية والتي تعلقت بتدمير مدينتين في إمبراطورية اليابان بالقنابل الذرية. إن ألقوا عليك قنابل ذرية فالسيوف الضالعة ليس لها فائدة، لكن ماثاتثين مع هذه القصة بدأ يفقد سعادته وانتهى به الأمر يُلقي واحدًا من خطاباته. كان هذا الخطاب عن الحرب، الاقتصاد، والإمبرياليين. أخذ يقول بين الحين والآخر:

-الغرينغوس يا أوساغي. الغرينغوس وخراؤهم.

اليوم جاء بول سميث إلى قصرنا. لم يأت منذ وقت طويل؛ نحو ثلاثة أشهر تقريبًا. اكتشفت أنني في الواقع أعرف 15 شخصًا وليس 14 أو 15. ما يحدث أنني لم أكن متأكدًا إن كان بول سميث لا يزال شخصًا أم أنه قد أصبح جثة. كان لديّ هذا الشك بسبب عبارات يولكاوت الغامضة، إذ سألته ذات مرة لماذا لا يأتي بول سميث فأجابني:

-إن كان ذكيًا، فسيعود. إن كان أحمقَ، فلن يعود.

بول سميث هو شريك يولكاوت في أعماله مع دولة الولايات

المتّحدة. شعره غريب جدّا. في الواقع، الشعر الغريب عنده موجود فوق جبهته، أما البقية فطبيعي. شعر جبهته مقرف. يقول يولكاوت إن بول سميث يزرع شعره لأن الصلع يصيبه. عليه أن يدفع آلاف الدولارات عن كل شعره جديدة له في رأسه. إن بول سميث في الحقيقة أسخف شخص أعرفه.

لا يروق بول سميث لماثاثين أيضًا. في كل مرة يراه يقول له:

-أهلا يا غرينغو.. هل غزوتم دولة ما في آخر 20 دقيقة؟

فيجيبه بول سميث:

-أمّك السّاقطة يا حبيبي.. غزونا أمك السااااقطة.

بول سميث ينطق الراء أيضا بشكل غريب، لكنه ليس غريبًا كالفرنسيين الذين يبدون كأن حنجرتهم تؤلمهم من كثرة قطع رؤوس الملوك. الراء عند بول سميث تبدو كأنّها معتزّة بنفسها كثيرًا. إنها راء مغرورة لها صدى في الفم. إنها مسألة تخصّ الـ"غرينغوس"، وهم قوم مغرورون يظنّون أنهم يملكون العالم؛ أو أن هذا على الأقل هو ما يقوله ماثاثين في خطاباته.

بخلاف ترتيب الأعمال، في كل مرة يأتي فيها بول سميث توجد حفلة. يذهب بول سميث إلى الحمام كثيرًا في هذه الحفلات. في البداية كنت أظن أن مثانة بول سميث صغيرة، لكن ميثلي قال لي بعدها سرّا؛ قال إنه يذهب لتعاطي الكوكايين. يتمّ تعاطي الكوكايين بالأنف وسرّا؛ إما في الحمام أو داخل دولاب؛ ولهذا العمل المرتبط به جيد للغاية؛ لأنه سرّي.

لا يفهم بول سميث أيضًا أي شيء عن الساموراي. سألني إن كنت مريضًا ولهذا السبب أرتدي روبًا. لست مريضًا؛ بل إنني منذ أصبحت محارب ساموراي لم يعد بطني يؤلمني. حسنًا.. إنه يؤلمني، لكنني أُركز مثل اليابانيين فيتوقف الألم. حينما أخبرني يولكاوت أنني لم أتحدث منذ أيام، أخذ بول سميث يقول إننا سنرى إن كان البكم مُعديًا. بول سميث أحمق.

منذ أصبحت أبكم، زادت الأمور الغامضة. هل بول سميث ذكي ولهذا عاد؟ غير ممكن! بول سميث يزرع شعره وأفكاره سخيفة. لا يمكن أن يكون ذكيًا. إنه أحمق بكل تأكيد، لكن لا يُمكنني سؤال يولكاوت؛ ولا تحت أي ظرف. سيظلّ هذا لغزا بلا حلّ. البُكم لا يطلبون أو يقدمون تفسيرات. مفهوم البكم يدور حول الصّمت.

منذ عودتنا من مونروفيا لم تعد الرؤوس المقطوعة هي الموضة السائدة. أصبحوا يستخدمون البقايا البشرية بصورة أكبر الآن في التليفزيون: أنفًا أحيانا، وفي مرات أخرى، قصبة هوائية أو جزءا من الأمعاء؛ أو أذنين. قد تكون البقايا أي شيء باستثناء الرؤوس والأيدي؛ لهذا تسمّى بقايا بشرية وليس جثثا. حينما يتعلق الأمر بالجثث يمكن معرفة هوية الأشخاص قبل تحوّلهم إلى جثث؛ لكن مع البقايا البشرية، على النقيض، لا يمكن معرفة أي أشخاص قد كانوا قبل تحوّلهم.

لا تُستخدم السّلال أو صناديق البراندي المعتّق لحفظ البقايا البشرية، وإنما حقائب السوبر ماركت؛ كأنها أمر يُمكن شراؤه من

هناك؛ من السوبر ماركت، خاصة أنه مكان يُمكن شراء بقايا الأبقار والخنازير والدجاج منه. أعتقد أنهم لو كانوا يبيعون الرؤوس المقطوعة في السوبر ماركت، لاستخدمها الناس لإعداد العصائد؛ لكن لا بُد في البداية وأن يحلقوا شعرها، كما يحدث مع الدجاج حين ينتفون ريشه. نحن الصّلع سنكون أغلى، لأننا سنكون جاهزين بالفعل لإعداد العصائد.

قبل أن أذهب للنوم، أعطاني يولكاوت هدية. إنها قبعة راعي أبقار أمريكي، من تلك التي تساعد في ربط الأبقار. بعدها قال لي إن الـ«كاو بويز»[24] لا يسيرون مرتدين روبًا. لأنني لم أجبه أو أشكره حتى، فقد صرخ:

-انطق! يلعن أمك! كفانا حماقات!

أعتقد أنه كان يرغب في ضربي، لكنه لم يفعلها. لم يضربني يولكاوت قَطُّ، بل إنه بدلا عن ضربي، يقدم لي هدايا. هذه هي الهدايا التي قدمها لي كي أتوقف عن كوني أبكم: بلاي ستيشن جديد -وهو بلاي ستيشن 3 فيه ستّ ألعاب مختلفة- بنطلون راعي أبقار لأنني أحب بناطيل رعاة البقر، قفص به ثلاثة فئران هامستر، حوض به سلحفاتان، طعام للهامستر والسلحفاتين، عجلة دوارة للهامستر، أحجار ونخلة من البلاستيك لحوض السلحفاتين. لم تنته مسألة البكم بعد هذه الهدايا؛ على الإطلاق. لن أتوقف عن كوني محارب ساموراي لمجرد أن يولكاوت يرغب في أن أصبح «كاو بوي»، مثل بول سميث.

---

24. وردت في النص الأصلي مكتوبة بالإنجليزية. (المترجم).

أكثر شيء غامض فعلوه لمحاولة إنهاء مسألة البكم حدث صباحًا حينما وصلت ثينتيوتل وإيتشابالوتل إلى العمل. لم تأتيا بمفردهما وإنّما جلبتا طفلين: ابن عمومة ثينتيوتل وجار إيتشابالوتل. كانت قصة شعرهما فظيعة، مثل الجنود، وهي أسوأ قصة شعر في الكون. قال لهما يولكاوت إن الطفلين عليهما أن يرحلا رغم محاولاتهما المستمرة لإخباره أنني في حاجة إلى أصدقاء في مثل سني، وأن هذا سينهي مسألة البكم. قالا له أيضًا إنه ليس من الطبيعي أن أسير مرتديًا روبًا وأن أستخدم هذه القبعات الغريبة التي تعجبني. مَلّ يولكاوت منهما سريعًا ولم يقل لهما سوى:

-إما أن تصمتا أو أن ترحلا.

ثم أمر ميتلي بأخذ الطفلين إلى منزلهما. أهداني أحدهما، وهو جار إيتشابالوتل، لعبة كانت معه قبل رحيله. إنه مثير للشّفقة، رغم أن إيتشابالوتل قالت له إنه طفل طيب جدًا. كانت دمية من حرب المجرات، لكنها لم تكن أصلية، بل تقليدا رخيصا. حتى أنها لم تكن مدهونة بشكل جيد. يفترض أن ملابس الدمية حمراء وجلدَها بلون جلدِ الإنسان نفسِه، لكن ما حدث أن قطعة من اليد اليمني كانت مدهونة بالأحمر ولم تكن دمًا. كانت دمية شائعة. حينما رحلوا، ألقيتها في القمامة.

هذا أمر غامض حقًا: الطلقات شديدة الصغر الخاصة بالمسدس الصغير يمكنها فعلًا أن تصنع جثثًا. لا أقصد جثثًا بشرية، أو جثث حيوانات ضخمة، وإنما جثث حيوانات صغيرة. لم أكن أرغب في قتل

عصفور الدرّة. كنت أرغب في رؤية ما الذي ستفعله الطّيور مع ضجّة الطّلقات. ما حدث أن كلّ الطّيور الملوّنة وعصافير الدرّة بدأت تطير بعد الطلقة الأولى كأنها مجنونة. ضربت نفسها في حوائط القفص وهاجم كل منها الآخر كأن أحدها هو من أطلق النيران. بدأ الريش الملون يطير في كل الأنحاء. كان هناك ريش أحمر، أزرق، أخضر، أصفر، أبيض، أسود، ورمادي. حينها أطلقت رصاصتين أخريين مصوّبًا نحو الريش. المشكلة أن فوضى كبيرة كانت موجودة داخل القفص. حينها هدأت الطيور الملونة وعصافير الدرّة وعادت إلى بيوتها وفروعها، اكتشفت جثة عصفور الدرّة على الأرض. كان لونه أزرق سماويًا، لكنّه في الواقع لم يكن عصفور درّة، لأنّه كان ميّتًا والموتى ليسوا عصافير درّة. كانت الطّلقة شديدة الصّغر قد جعلت الدم يسيل من جناحه.

قبل أن يصل أحد، أخفيت المسدس الصغير بين الحشائش الضّارة في الحديقة. ألقيته إلى أبعد مكان ممكن في جزء كانت الحشائش فيه عالية إلى درجة أن أثكاتل لم يكن يُقلق نفسه حتى بقطعها. وصل إيتشكواتلي إلى القفص وظلّ ينظر إلى فوضى الريش وجثة عصفور الدرّة. هذا هو أكثر شيء غامض ومليء بالأسرار شاهدته في حياتي: كيف تمكن من سماع الطلقات إذا كان أصمّ وأبكم؟ دخل إيتشكواتلي إلى القفص وأخذ جثة عصفور الدرّة. لما رأى أنه قد مات بالفعل، لم يذهب لجلب الدواء لعلاجه. أفضل شيء أنه أصمّ وأبكم وأنا أبكم لذا ظللنا صامتين ولم يطلب منّي أي تفسيرات. لكن في تلك الأثناء وصلت ثينتيوتل وإيتثبابالوتل ولدى رؤيتها للجثة بدأتا تقولان: يا

عذراء يا شفيعتنا! مسكين! كيف لأحد أن يقتل عصفور الحب الذي لا يؤذي أحدا وكل ما يفعله هو تقبيل عصفور حب آخر. قالتا أيضًا إنه بسبب ذنبي أصبح عصفور الحب أرمل وإنني عليّ أن أجلب له رفيقة كي لا يموت من الحزن وأخذاني ليولكاوت.

لم يكن يولكاوت مُهتمًا بحياة عصفور الدرّة، لأنه لم يصنع جلبة كما فعلت ثينتيوتل إيتبابالوتل. عصافير الحب شواذّ، كما أنه يتبقى الكثير منها: سبعة. ما اهتم به يولكاوت حقًا هو معرفة بأي مسدّس قتلت العصفور، في أي مكان هو ومن أين أخذته، لكن لأنني أبكم والبُكم لا يقدمون تفسيرات لم أقل له شيئًا وبقيت صامتًا. حبس يولكاوت نفسه مع ميثتلي في غرفة المسدّسات والبنادق وكنت أرغب في سؤالهما ما الذي يفعلانه محبوسين في غرفة فارغة.

بعدها تشاجر يولكاوت وميثتلي لأنهما اكتشفا مسدّسًا مفقودًا؛ المسدّس الصغير الذي يعمل بالطلقات شديدة الصغر. ألقى يولكاوت بالذنب على ميثتلي لأنه ترك غرفة المسدّسات والبنادق مفتوحة، لكن ميثتلي قال إن الذنب هو ذنب بارانويا يولكاوت لأنه من دونها ما أصبح من الضّروري ترك المسدّسات محشوّة. في الحقيقة، الذنب ذنب ميثتلي، لأنه لم يشتر لي السيف الضالع.

غضب ماثاتثين هو الآخر مني، لكنه لم يغضب لأنني صنعت جثة من عصفور الدرّة ولا لأنني سرقت المسدس الصغير، وإنما لأنه هناك حاجة إلى تقاليد عمرها آلاف السنين وصبر كبير لصناعة السيوف الضالعة، لكن المسدسات لا تحتاج إلا إلى مصانع الرأسماليين. سألني

بعدها:

-من تظن نفسك؟ الفأر راعي البقر؟

لكن الفأر راعي البقر يمتلك مسدّسين. أنا أيضا لديّ أذنان أكبر منه. لديّ أذنان كبيرتان جدًا إلى درجة أنهما تظهران مقصوصتين في الصور.

هناك نظرية جديدة في التليفزيون بخصوص البقايا البشرية؛ في البداية كانوا يظنون أنها من عدة جثث، لكن الآن يفكرون في أنها في الحقيقة تخصّ جثة واحدة؛ هذا لأنهم عثروا على عدة مؤشرات ودليل. المؤشرات هي أن أجزاء الجسد لم تتكرر ودائمًا ما تكون مختلفة. يجرون الآن اختبارات في المعمل لمعرفة إن كانت كلها من جثة واحدة. الدليل الذي عثروا عليه هو جزء من لحم الظّهر كان به وشم ليونيكورن أزرق صغير. في الواقع، لم يظهر شيء مثل اليونيكورن في التليفزيون، وإنما مجرد بقعة. حينها حدث شيء غامض: أمر يولكاوت بجلب ميتلي، رغم أننا كنا ليلًا وميتلي يحرس القصر. حينما جاء، أمره يولكاوت بالذهاب لجلب كيتشولي، لكنها لم تأت، أو أنها حينما جاءت رحلت سريعًا، لأنني حين استيقظت لم تكن موجودة.

بعدها حدث أن ماثاتثين لم يأت ليدرس لي فصولا رغم أن اليوم لم يكن السبت أو الأحد. التاسعة، التاسعة والنصف، العاشرة، ولم يحدث شيء. لم يأت. لم يسبق أن حدث هذا قَطُّ. ربما أن ماثاتثين لا يرغب في أن يأتي لأنه محبط من عدم كوني ساموراي حقيقيا. هذا ليس ذنبي، لأنه لا يُمكن أن أصبح محارب ساموراي حقيقي دون سيف

ضالع. قال لي يولكاوت أن أبدأ في مذاكرة الكتب، كأنه قد أصبح ماثاثين، لكن بدأت ألعب بالبلاي ستيشن 3، مستغلاً خروجه من القصر مع ميتلي طوال اليوم. ظل تشيتشيلكوالي يقوم بعمله في حراسة القصر، وإن كان قد أخذ يراقبني بدلا عن هذا. كان يطاردني عن قرب طوال اليوم، كما تفعل كيتشولي مع يولكاوت، إلى درجة أنه كان ينتظرني أمام الحمّام، كلّما دخلته.

عاد يولكاوت وميتلي إلى القصر ليلا. لم يتوقفا عن مشاهدة التليفزيون. تصرف يولكاوت كأن شيئًا لم يحدث ثم أرسلني مع ميتلي ليشتّت انتباهي. على أي حال، أعرف بالفعل لماذا لم يرغب يولكاوت في أن أشاهد التلفاز. لقد أخبرني ميتلي؛ لأنّه جيد للغاية في الأسرار. أقصد أن ميتلي جيد للغاية إن كنت ترغب في معرفة الأسرار وسيئ جدًا، إن كنت تودّ أن يحفظها؛ ولست حتى في حاجة إلى أن تقول له شيئًا. الطبيعي هو أن تسأل كثيرًا أو أن توجه حتى ضربات مُتفجّرة، إن كنت تود أن يقصوا عليك سرًا، لكن هذا لا يحدث مع ميتلي. أنا أبكم ولهذا لم أسأله شيئًا، لكنه رغم ذلك حكى لي إنهم يتحدثون في التليفزيون عن يولكاوت، وعن أعماله، وإن كانوا في الحقيقية لا يدعونه يولكاوت، وإنما "الملك". قال ميتلي إن مضاجعتنا آتية. قال تحديدًا:

-تخيّل. إنه لا يتركك حتى تشاهد التليفزيون. تشبث جيدًا، الآن ستبدأ البارانويا الحقيقيّة.

كنت أظن أن بارانويا يولكاوت موجودة من ذي قبل، لكن تبيّن

الآن أنها قد بدأت للتوّ. يقول القاموس إنك حين تفكر في فكرة واحدة، تكون مصابًا بالبارانويا. بمعنى آخر، المصابون بالبارانويا مجانين؛ المسألة وكأنني لا أفكر في شيء سوى القبّعات، لكن أنا أفكر في أمور كثيرة: في القبّعات، في الساموراي، في السيوف الضالعة، في أقزام النهر الليبيرية القزمة، في الخس، في المسدّسات الصغيرة، في طلقاتها شديدة الصغر، في المقاصل، في الفرنسيين، في الرصاص، في الجثث، في الشعر المزروع، بل وحتى في الإسبان، الذين لا يحبون قطع رؤوس ملوكهم. ما يحدث أنني لست مصابًا بالبارانويا، لكن من يعرف أي فكرة يُفكّر فيها يولكاوت طوال الوقت!

كنت أعرف كنت أعرف! ماثاتثين ليس قدّيسًا على الإطلاق. إنه خائن مثير للشّفقة. لقد كتب ريبورتاجًا في مجلة يحكي فيه كل أسرارنا، أحاجينا، وألغازنا. يضمّ الرّيبورتاج صورًا لقصرنا وعنوانه: «داخل وكر الملك». يتحدث عن الملايين التي نمتلكها من البيزوهات، من الدولارات، من اليوروهات، عن خواتم الذهب والألماس التي يستخدمها «الملك»، عن المسدّسات والبنادق، عن ميثلي وتشيتشيلكوالي، عن الساسة، بل وحتى عن كيتشولي، وفي الصفحة الرئيسية تظهر صورة لقفص نمرينا.

لا تقول المجلة إن ماثاتثين هو صاحب الريبورتاج، لكنّه هو. نحن نعرف هذا. لا يمكن أن يكون أحدًا سواه. لم يأت منذ يومين ليدرس لي الفصول. كما أن الاسم الذي وقع به التقرير هو «تشيمالي»، وهي كلمة تعني «درع». معاني الأسماء مهمّة جدا عند ماثاتثين، لهذا يناديني

أوساغي وليس توتشتلي. للسبب نفسه لا يُسمّي يولكاوت يولكاوت، بل «الملك»، كما يدعونه في التليفزيون. فائدة الدّروع هي الحماية. بمعنى آخر، ماثاتثين أخذ هذا الاسم ليحمي نفسه، لأنه خائف من يولكاوت بالطبع.

أعرف مسألة الريبورتاج من ميتلي لأن يولكاوت لا يحكي لي شيئًا وكأنه هو الآخر قد أصبح أبكم، أو أبكم فقط معي، لأنه يتحدث بالفعل مع البقيّة. في الواقع، يتحدث مع الجميع لإصدار الأوامر. أعتقد أنه مَلّ من تقديم الهدايا لي لأتوقف عن مسألة البكم، ولأن هذه المسألة لا تنتهي فهو ينتقم. مفهوم العصابات لا يدور حول الانتقام، أو الأكاذيب، أو إخفاء الحقائق. بهذه الطريقة لن نصبح أفضل عصابة في محيط سبعة كيلومترات؛ بل وإننا سنتوقف عن كوننا عصابة من الأساس.

مع مسألة الريبورتاج هذه، توقّفت عن مسألة البكم قليلا لأنني اضطررت إلى الحديث مع ميتلي. فعلتها لأعرف ما هي الأشياء التي قالتها المجلّة ولسؤاله عمّا سيحدث مع ماثاتثين. بالمناسبة، لم يكتب ماثاتثين شيئًا عني، وكأنّني لست موجودًا. يرى ميتلي أنه فعل ذلك لحمايتي. إنه مثير للشّفقة. أنا ساموراي ونحن -محاربي الساموراي- لسنا في حاجة إلى حماية من أحد؛ وإن احتجنا فيجب أن تكون من ساموراي آخر، خاصة حينما يكون شرفنا في خطر، لكن ليس هناك ساموراي يحتاج إلى حماية من خائن مثير للشّفقة.

على أي حال، رغبة ماثاتثين في حمايتي ليست لها فائدة، لأن أحدًا

لن يقرأ الريبورتاج. سابقًا، كنت أفكر في أن الأشخاص هم الشيء الوحيد الذي يُمكن اختطافه، لكن هذا لم يكن صحيحًا. هناك أشياء أخرى يُمكن اختطافها؛ مثل المجلات. هذا هو ما فعله يولكاوت حينما علم بمسألة الريبورتاج. أصدر أوامره بالهاتف لشراء كل المجلات التي يظهر فيها ريبورتاج ماثاتثين. يقول ميثلي إن تشيتشيلكوالي ذهب إلى مصنع لإعادة التّدوير: سيضعون كل المجلاّت في آلة ستحوّلها إلى ورق للفّ شطائر التورتيا. مسكين يا ماثاتثين! يقول ميثلي إنه لحسن حظه قد رحل بعيدًا. أعتقد أن ماثاتثين قد ذهب إلى إمبراطورية اليابان، لكنني واثق من أن يولكاوت سيلقي عليه أربع قنابل ذريّة على الأقل.

يولكاوت فعلا مجنون مصاب بالبارانويا. في البداية كان أبكم معي ولم يسمح لي بمشاهدة التليفزيون، وإذا به الآن يصرخ كي أجري وآتي بسرعة، لأن ماثاتثين يظهر على الشاشة. لديّ نظرية: المثقّفون يدخلون السجن لأنهم في الواقع حمقى. مثل ماثاتثين الذي لم يخنّا فقط، وإنما ظهر أيضًا أنه خائن لدولة هندوراس. في دولة هندوراس تزوير الأوراق جنحة خطيرة. جنحة.. إنها كلمة جميلة. يبدو أن الهندوراسيين من الوطنيين ويغضبون حينما يرغب شخص أن يصبح هندوراسيًا بالكذب. إذا كنت ترغب في الحصول على جواز سفر هندوراسي، لديك خياران: إما أن تكون هندوراسيًا حقيقيًا أو أن تذهب إلى السّجن.

أسوأ شيء بالنسبة إلى ماثاتثين هو أن السادة في حكومة دولة

هندوراس يظنون أنه سخر من بلادهم. هذا هو ما قاله نائب الرئيس. لقد قال تحديدًا إن السّخرية كانت في تسمية نفسه باسم أحمق وهو فرانكلين غوميث. بالمناسبة كان اسم نائب الرئيس إلفيس مارتينيث. أعتقد أن الحمقى فقط هم من يهربون إلى دولة هندوراس بجواز سفر هندوراسي مزيّف. لقد قبضوا على ماثاتثين وهو يتمشّى وسط تيغوثيغالبا، وهي عاصمة دولة هندوراس، البلد المخصّص للهندوراسيين الحقيقيين فقط.

قال أحد السادة من الحكومة المكسيكية إنهم لا يمكنهم فعل شيء لأجل ماثاتثين وإن المكسيك تحترم سيادة الشعب الشقيق لدولة هندوراس. هل المكسيكيون والهندوراسيون أشقّاء؟ إن السّاسة يقومون بأعمال معقّدة حقًّا! كان يولكاوت مستمتعًا للغاية ويسخر من ماثاتثين حين أراد أن يقول لي واحدة من عباراته الغامضة. لقد قال:

-فكر بشكل سيّئ وستصيب.

واستمر في الضّحك كمجنون مصاب بالبارانويا لا يفكر إلا في شيء واحد؛ في الضّحك.

لكن هذه العبارة لم تكن غامضة حقّا، بل إنها ساعدتني على حل ألغاز أخرى. بكلمات أخرى، معناها أن يولكاوت مسؤول عمّا يحدث. هذه كانت فائدة الأوامر: تنظيم الأحاجي. حينئذ، حدث شيء غامض حقيقي: لقد عرضوا في التلفاز تقريرًا عن حياة ماثاتثين وقالوا إنه كان رجلًا خطيرًا؛ كل هذا لأنه ذهب ليعيش بعيدًا، وسط العدم، في أعلى تلّ ممتلئ بجنود متمرّدين يرغبون في قتل سادة الحكومة بالرصاص.

لهذا أيضًا ذهب ماثاتثين إلى دولة هندوراس، لينظّم الهنود الموجودين هناك لقتل سادة الحكومة الموجودين في ذلك البلد. لدى حكومة دولة هندوراس قائمة طويلة جدًا من التّهم لترك ماثاتثين في السجن لسنوات كثيرة. يقول يولكاوت إنها خمسة وعشرون عامًا على الأقل. ثم يضحك بصورة أكبر. بعدها اتّصلوا من التليفزيون بشريك ماثاتثين السابق في أعمال الدعاية والشركات. قال إنه لم يره منذ سنوات؛ منذ ذهب ليعيش في التلّ مع المتمرّدين. هذا كان غامضًا؛ لأن ماثاتثين لم يكن مع المتمرّدين، وإنّما معنا يُعلّمني أمورًا عن الكتب.

لو كنت في مكان ماثاتثين لهربت إلى إمبراطورية اليابان. من هناك كنت لأرسل لنفسي سيفًا لأصبح محارب ساموراي حقيقيًا، لكنه على النقيض ذهب إلى دولة هندوراس.. تؤلمني أصابعي للغاية؛ من كثرة انكبابي على لعب بلاي ستيشن 3.

تعرفت اليوم على الشّخص السّادس عشر في حياتي. اسمها ألوتل. وفقا لثينتيوتل، فإن مؤخّرتها كبيرة هكذا: بطول مترين. ألوتل ليست عاشبة مثل كيتشولي لأنها لا تأكل سلطات الخس فقط، وإنما أيضا حساء الحروف، الإنشيلادا، واللحم. ليست بكماء؛ على العكس، إنها تقول أشياء كثيرة. تقول لي مثلا:

-حبيبي الصّغير.. ألا ترى أن الوقت متأخّر نوعًا ما على السير بمثل هذه الملابس؟ هذه ليست ساعة ارتداء الأرواب.

وتقول أيضا لثينتيوتل وإيتثبابالوتل:

-يا جمال البيت الكبير وذوقه العالي! يا جمال الأواني!

لأنها لا تعرف في الحقيقة أن هذا ليس منزلًا، بل قصر. إن كانت تعرف أنه قصر لأدركت في الحقيقة أنه ليس قصرًا جيّدًا جدًا، لأنه ليس مُنمّقًا. قالت مسألة الأواني عن مجموعة من الأواني الصينية الموجودة في صالة الجلوس. الأواني بها تنانين تطلق النار من فمها والحقيقة أنها فعلا جميلة. بعدها وهي في الشرفة قالت أيضًا:

-أوه! نمر في قفص! كبير جدًا وجميل جدًا! يا جمال النّمر وهو وسط الخضرة!

حينها زأر النمر. أظن أن النمر شعر برغبة في التهامها. لم تدرك هذا ولم تقل سوى: «يا ربي يا ربي على القطة الصغيرة المتوحّشة!» وسألتني إن كان هناك اسم ما للنّمر.

شعرت بالخجل من مواصلة مسألة البكم، من كثرة كلام ألوتل، لأنها لم تتوقف عن سؤالي بخصوص الروب، قبعة الساموراي، أسماء الحيوانات، وكيف يمكنني أن أكون وسيمًا بمثل هذه الصورة. بين الحين والآخر، كانت تداعب شعري وتقول «يا ربي يا ربي على الأبكم الصّغير!». اضطررت إلى أن أشرح لها مسألة الساموراي كلها ولماذا أنا منهم وكيف ينقصني سيف ضالع لأصبح محارب ساموراي حقيقي. أجبرتني أيضًا على أن أظهر لها مجموعتي من القبّعات. إنها من الوطنيين، إذ أعجبتها قبّعات الـ«تشارّو»، مهما أظهرت لها من القبّعات ثلاثية القرون أو قبّعات السفاري الأصلية.

حين جلسنا نأكل في الشرفة، لم يكن الأمر لحظة مليئة بالألغاز كما كان من قبل لأن ألوتل قضت وقتها تحكي أمورًا عن قريتها وتلقي

النّكات. قريتها موجودة في الشمال واسمها سينالوا. أعتقد أن ألوتل راقت ليولكاوت إلى درجة أنه وجه إليها أسئلة وأخذ يضحك على نكاتها التي كانت عن مدى وسامتي أنا ويولكاوت والشّبه الكبير بيننا في هذه الوسامة. عبر حساء الحروف شكّلت ألوتل أسماء من كانوا على المائدة، لكنها كتبت اسمينا بهذه الصورة: توستلي ويولكاو.[25]

أفضل شيء أن ألوتل لم تظلّ تغنّي الأغنية نفسها طوال اليوم لأنها اختفت عدة مرّات مع يولكاوت: أربع مرات تحديدًا. اندهش ميثتلي هو الآخر من كثرة مرات الاختفاء، لكنه كان سعيدًا لأنه من جاء بألوتل إلى القصر. حينما سألته عن السّبب وراء مرات الاختفاء الكثيرة، ابتسم وقال لي سرّا كان شديد الغموض:

-تسعون ستون تسعون يا توتشتلي. تسعون ستون على كل طعم ولون!

ما يحدث الآن، هو أن ألوتل باتت تأتي كل يوم وليس مرتين أو ثلاث في الأسبوع. جلبت معها ذات يوم قبّعة من القشّ عليها شريط مرسوم عليه نخلة وعبارة: "تذكار من أكابولكو". في يوم آخر، جاءت بتنّورة قصيرة جدّا، إلى درجة أن ثينتيوتل لم ترغب في تقديم الطّعام إليها. في الحقيقة، قبّعة أكابولكو هي الأسوأ في مجموعتي، لو كان الأمر بيدي لألقيتها في القمامة. المشكلة أن يولكاوت سعد كثيرًا بالهديّة. صحيح، التنورة كانت قصيرة جدّا، إلى درجة أنني رأيت لباسها الدّاخلي مرتين. كان لونه بالمناسبة أصفر.

---

25. ورد الاسمان في النص الأصلي مكتوبين بإسبانية خاطئة، دليلا على تدني مستوى ألوتل التعليمي. (المترجم).

كان أفضل يوم حين جلبت ألوتل معها فيلما عن الساموراي لم أشاهده من قبل. قالت إنها جلبته كي أرى أن الساموراي الحقيقيين لا يسيرون بالروب، إلى درجة أننا قمنا برهان: إن فزت، فستهديني بدلة ساموراي وإن فازت هي سأتوقف عن ارتداء الروب. تبيّن أن بعض الساموراي يسيرون بالروب وغيرهم لا؛ لأنهم يرتدون بنطلونات ودروعا للصدر. قال يولكاوت إن ما يرتديه محارب الساموراي ليس روبًا «كاروهات» مثل أروابي. التي يرتدونها سوداء. هكذا، أوقفا عرض الفيلم ولم نستكمل مشاهدته حتى خلعت روبي.

على أي حال، تسلّينا كثيرا بالفيلم، خاصة بسبب مشاهد القتال وأيضًا بالمحادثات لأن محاربي الساموراي لم يتحدثوا باليابانية، وإنما بإسبانية مثيرة للضحك. قال يولكاوت إنهم يتحدثون مثل «الخواجات»[26] وضرب مثالًا حينما قال محارب ساموراي لأحد الأشرار «يا مُساكش»[27]. إن هذه الكلمة لا تظهر في القاموس.

في نهاية الفيلم يقطع محارب الساموراي رأس ساموراي آخر كان صديقه. ليست المسألة أنه كان خائنًا، وإنما على النقيض من هذا. لقد فعلها لأنه صديقه وكان يرغب في إنقاذ شرفه. حينئذ، لا أعرف أي بعوضة قد قرصت يولكاوت إلى درجة أنه حين انتهى الفيلم أخذني إلى

---

26. وردت في النصّ الأصلي "guachapines" وهي كلمة يستخدمها سكان أمريكا اللاتينية وبالأخص في المكسيك للإشارة إلى الإسبان المقيمين هناك، والذين يحاولون التصرف والتحدث بطريقة أهل البلد نفسها. فضّلت العثور على مقابل قريب منها في المعنى لتصبح الجملة مفهومة وفقًا لسياقها الساخر ولهذا وقع الاختيار على كلمة "خواجات" لأن ال"خواجة" يحمل الخصائص المقصودة نفسها. (المترجم).

27. وردت في النص الأصلي "gamberro" وهي كلمة عامية معناها "مشاكس" أو "مشاغب" وهي لا تظهر في أغلب قواميس الإسبانية بالفعل. فضلت كتابتها بالعربية بطريقة خاطئة "مُساكش" كي تستقيم الجملة مع ما يأتي لاحقًا بخصوص أنها لا تظهر في القاموس. (المُترجم).

غرفة المسدسات والبنادق. قال لي إنه ما من أسرار بيننا، تركني أرى كل الأسلحة، وأخبرني بأسمائها والدول التي صُنعت فيها وعيار كلّ منها.

بالنسبة إلى المسدّسات لدينا: باريتا من دولة إيطاليا، براونينغ من المملكة المتحدة، وأنواع كثيرة من دولة الولايات المتحدة بالأخص كولت وسميث أند ويسون. بالمناسبة، يُمكنك أن تضع كاتما للصّوت فوق المسدّسات؛ هذا كي تجعلها بكماء. البنادق كلها واحدة تقريبًا. نمتلك بنادق اسمها «إيه كيه-47» من دولة روسيا، و«إم-16» من دولة الولايات المتحدة، لكن أكثر من أي شيء آخر لدينا بنادق «عوزي» من دولة إسرائيل. علمني يولكاوت أيضا اسم بندقية الطلقات الضخمة، وهي في الواقع ليست بندقية، وإنما سلاح اسمه «بازوكا».

قبل أن أذهب للنوم سألني يولكاوت إن كنت قد انتبهت إلى فيلم الساموراي وإن كنت قد فهمت نهايته جيدًا، فقلت له نعم. حينها قال لي أكثر شيء غامض ومليء بالألغاز سبق أن قاله لي. لقد قال:

-يومًا ما، ستضطر إلى فعل الشيء نفسه معي.

حينها استيقظت اليوم، كان هناك صندوق كبير جدًا بجوار فراشي عليه صور ملوّنة وملصقات كُتبت عليها كلمات بالإنجليزية مثل «قابل للكسر» و«تعامل بحذر». ركضت لسؤال يولكاوت عن الأمر ولمطالبته بمساعدتي في فتحه لأنه كان مُغلقًا بالمسامير.

فتحنا الصندوق وفي الداخل كانت هناك حقائب بلاستيكية كثيرة؛

بالآلاف. أخذت أنزعها حتى اكتشفت رأسيْ لويس السادس عشر وماري أنطوانيت، فرسيْ النهر القزمين الليبيريين بعد أن تمّ تحنيطهما. الحقيقة أن من فعلوها قاموا بعمل مُنمّق جدّا. كان الفم في الرأسين المقطوعين مفتوحًا لإظهار اللّسان والأنياب الأربعة. إضافة إلى أن الرأسين كانا يلمعان لأن المُحَنِّطين أضافا إليهما دهانًا لامعًا. أما العيون فكانت مصنوعة من كرات بيضاء وبؤبؤ كل منها بنّي كالقهوة. بالنسبة إلى أذانهما الصغيرة، فلم يمسسهما سوء. تلتصق الرقبة بلوح عليه صفيحة مذهبة تحمل اسم كل واحد منهما. رأس لويس السادس عشر، وهو الأكبر، كُتب تحته «لويس السّادس عشر» وفي الأسفل «Choeropsis liberiensis»[28]، أما رأس ماري أنطوانيت، وهو الأصغر فكُتب تحته «ماري أنطوانيت»، وفي الأسفل «Choeropsis liberiensis».

وبأيدينا أنا ويولكاوت علّقنا الرّأسين فوق جدار في غرفتي: لويس السادس عشر على اليمين وماري أنطوانيت على اليسار. في الواقع، كان يولكاوت هو من دقّ المسامير ووضع الرّأسين. كل ما فعلته أنا كان إخباره إن كانتا مائلتين أم مضبوطتين. بعدها صعدت فوق كرسي وأخذت أجرّب القبعات فوقهما. كانت قبّعات السفاري الافريقية هي الأفضل، لهذا تركت واحدة منها فوق رأس كل منهما لفترة. قريبًا ستصل التيجان الذهبية المرصّعة بالألماس التي أمرنا بجلبها إلى الرّأسين، وفي يوم التّتويج سنقيم أنا وبابا حفلًا.

---

28. الاسم العلمي لفرس النهر الليبيري القزم باللغة اللاتينية. (المترجم).

كلمة المترجم

(يُرجى الاطلاع عليها بعد الانتهاء من قراءة الترجمة وليس قبلها)

صدرت هذه الرواية في 2010، أي بعد عام واحد من 2009 الذي تمّ تصنيفه آنذاك أعنفَ سنة في تاريخ المكسيك بسبب حوادث الاغتيال المرتبطة بالجريمة المنظمة التي تخطى عدد قتلاها آنذاك سبعة آلاف شخص، وفقا لأرقام صحيفة (إل أونيبرسال) المحلية.

يقول المؤلف على لسان الراوي توتشتلي«لا تظهر في الكتب الأمور المرتبطة بالحاضر، وإنما الماضي والمستقبل، وهذا عيب كبير فيها. لا بُدّ أن يبتكر أحدهم كتابًا يُخبرك فيه عما يحدث في اللحظة التي تقرؤه فيها. يبدو أن هذا أصعب من تأليف كتب تستشرف فيه المستقبل وتتنبأ به، واعتقادي أن هذا هو سبب عدم وجود كتب عن الحاضر، لذا على المرء دائمًا أن يذهب بنفسه ويتحقق من الواقع».

ربما تفسّر هذه الفقرة كثيرًا السّبب الذي دفع المؤلف إلى كتابة الرّواية، وكذلك العنف الواضح فيها لأنه آفة حقيقية كانت تعاني منها

المكسيك في تلك الفترة، فالرؤوس المقطوعة والأعضاء المبتورة التي تظهر في الرواية ليست دربًا من الخيال، إذ إن أسوأ منها قد حدث على أرض الواقع. أتذكر أنني في تلك الفترة أثناء عملي مترجما في الخدمة العربية بوكالة الأنباء الإسبانية كانت تردنا الكثير من الأخبار والتقارير من مراسلينا الموجودين في المكسيك، وتحديدًا في شمالها، عن العنف المرتبط بالجريمة المنظمة. يكفي أن أذكر لكم حادثًا قطع فيه أفراد عصابة الأعضاء الذكرية لأحد رجال الشرطة وتركوها معلّقة فوق عمود إنارة.

خلاصة القول، لقد رغب خوان بابلو بيالوبوس أن يقدم صورة حقيقية لإشكالية عالم الجريمة المنظّمة، توغل أباطرتها في السلطة وتوحشهم أمام المجتمع؛ وبالمثل أن يذهب القارئ معه في رحلة عبر صفحات هذه الرواية القصيرة لـ«يتحقق من الواقع»؛ هذا الواقع الذي ينقله بيالوبوس عبر قصة تقترب من حد السريالية: طفل صغير، ابن لتاجر مخدرات، غريب الأطوار لكنه يحقق نزواته مهما كانت الظروف لأن «الملك» والده «قادر على الدوام». لا يهم إن تعلق الأمر بحيوان على وشك الانقراض، السفر إلى دولة أخرى، أو أي شيء آخر، فالمهمّ أن يحصل توتشتلي على ما يريد.

رغم قصر الرواية، تمكّن خلالها بيالوبوس من انتقاد الجميع وبلا رحمة، ليس فقط داخل المكسيك، وإنما أيضًا خارجها. لم يسلم منه أي طرف، فقد وجه سهامه نحو الفاسدين في الحكومة، المثقّفين المُنَظِّرين، عصابات المخدّرات، الإعلام، الولايات المتّحدة، أوروبا، حُكّام

أفريقيا، وكل هذا عبر سرد بارع ومختلف يقترب أحيانا كثيرة إلى حدّ الهذيان؛ طفولي لكنّه شديد العمق، عبر حبكة قد تبدو للوهلة الأولى أنها لا تعكس شيئًا، لكنّها في الحقيقة تتناول أمورًا جمّة. ربما لهذا السّبب لقيت الرّواية استحسانًا كبيرًا على الصعيدين المحلي والدولي بعد صدورها، ونُقلت إلى أكثر من لغة منها الإنجليزية والبرتغالية والإيطالية والتركية والرومانية، ضمن لغات أخرى، رغم أنها باكورة أعمال الكاتب، بل إن صُحفًا عالمية مختلفة أفردت مقالات مطوّلة تتحدث عنها ونذكر منها (ذي غارديان) البريطانية، (دير شبيغل) الألمانية، (إل بابيس) الإسبانية.

على الصعيد الشخصي، أود أن أحكي للقراء قصتي مع هذا العمل. لقد قرأت الرواية للمرة الأولى في 2017 فانبهرت من فكرتها وإصرار المؤلف على أن يكون الراوي طفلًا رغم موضوعها الشّائك، لهذا قررت وضعها على قائمة الأعمال التي أرغب في ترجمتها مستقبلًا، لكن انشغالي في السنوات التالية بترجمات أخرى حال دون تحقيق هذا الهدف. وكي أقول الحقيقة المُطلقة، ثمّة سبب آخر للتأجيل وهو إدراكي للصعوبات التي سألقاها في عملية الترجمة وتخوّفي منها؛ فأن تجعل الراوي طفلًا مسألة صعبة، لكن بيالوبوس نجح فيها، لكن أن تُترجم ما يرويه محافظًا على خصائصه الأصليّة أصعب بكثير؛ إضافة إلى كمّية الاصطلاحات الكثيرة الموجودة بالعامية المكسيكية في العمل وإشكالية نقلها إلى العربية دون الإخلال بالمعنى المقصود، في ظل الأسلوب السّاخر واللعب بالكلمات الذي يعتمده بيالوبوس في مواقف كثيرة داخل روايته الأولى الصغيرة.

ربما كانت الترجمة أكثر صعوبة أو ربما كانت أكثر سهولة من غيرها.. في الحقيقة لا أدري. المهم أنني لما عقدت العزم، كنت في فترة راحة سلبية بعد انتهائي من ترجمة عمل آخر، ثم جاء بعدها زمن الحظر مع فيروس كورونا، الذي أرجو ألاّ يضعنا على حافة الانقراض كحال أفراس النهر الليبيرية القزمة، لهذا اتخذت قرارا بالعودة إلى هذا المشروع المؤجل. هكذا قضيت أغلب الوقت في فترة الحظر -إثر الانتهاء من دورية عملي الأساسية من المنزل- في ترجمة هذا العمل المجنون بكل جماله، مع إشكاليّاته اللغوية، بساطة جمل توتشتلي، تركيباته اللغوية المضحكة، مصطلحاته الخاصة، حماقتها، وعمقها في آن واحد.

في الواقع -وهذا هو الاستطراد المفضل لدى توتشتلي- استمتعت بالتّرجمة كثيرًا وبعملية البحث «المُتفجّرة» التي أجريتها في تلك الفترة، وهي مسألة «غير مشؤومة» فعلتها دون ارتداء قبعة محقق أو قبعة سفاري افريقية، لكن بروح مقاتل «ساموراي» وتمكنت خلالها من التعرف -على سبيل المثال وليس الحصر- على أصل الأسماء التي اختارها بيالوبوس لشخصيات الرواية من المكسيكيين والتي لكل منها معنى مرتبط بدورها فيها. تأتي هذه الأسماء كلُّها من كلمات من لغة الناواتل التي تتبع فرع اللغات اليوتو أزتيكية وتخصّ السكان الأصليين في المكسيك، فتوتشتلي تعني«الأرنب»، ويولكاوت «الحية ذات الأجراس»، وماثاتثين «الغزال الموقّر»، أثكاتل «النملة»، ثينتيوتل

«إلهة الذُّرة»، ميتلي «الفهد»، تشيتشيلكوالي «النسر الأحمر»، كيتشولي «الريشة الجميلة»، إيتكواتلي «النسر الأبيض»، إيتبابالوتل «الفراشة ذات المخالب»، ألوتل «الببّغاء الملون».

من ناحية أخرى، تجدر الإشارة إلى أن "حفل في الوكر" يمكن تصنيفها داخل إطار ما يُعرف باسم «Narcoliteratura» أو «أدب الناركو» أو «أدب المخدرات» وهو تيار أدبي حديث العهد وُلد في أمريكا اللاتينية في القرن الحادي والعشرين أمام تعاظم مشكلة الجريمة المنظمة والمخدرات هناك وكانت أبرز الأعمال التي تناولته بالطبع من المكسيك وكولومبيا، لأنهما من أكثر الدول التي تعاني من هذه المشكلة. أما بالنّسبة إلى أهمّ الأعمال التي تناولته، فنذكر منها «شفيعة القتلة» للكولومبي فرناندو باييخو و«أعمال المملكة» للمكسيكي يوري إريرا؛ وبالطبع الرواية الموجودة الآن بين أيديكم، والتي تأتي داخل إطار المحاولات البسيطة التي أبذلها منذ سنوات لتعريف القراء في العالم العربي بتيارات أدبية جديدة ومؤلفين لهم صيت في بلادهم وخارجها، لكنهم لم يُنقلوا إلى العربية بعدُ.

وبهذه المناسبة، أودّ أن أعرفكم على مؤلف هذه الرواية، خوان بابلو بيالوبوس وهو من مواليد مدينة غوادالاخارا المكسيكية عام 1973 ودرس علوم التسويق وبالمثل آداب الدول الناطقة بالإسبانية وله منشورات عديدة في أدب الرحلات والنقد والسينما وكان بصدد إنجاز على دكتوراة في نظرية الأدب والأدب المقارن. تعدُّ رواية «حفل في

الوكر» أنجح أعماله، لكن نُشرت له أعمال أخرى ترجمت إلى عدة لغات نذكر منها «لن أطلب من أحد أن يصدّقني» و«سأبيع لك كلبًا» و«رحلة كونيّة إلى ميناء الخيال الروائي» و«غزو قرية الروح».

محمد الفولي

خوان بابلو بيالوبوس



توتشتلي يهوى القبّعات، القواميس، محاربي السّاموراي، المقاصل والفرنسيين، لكنه مجرد طفل وكل ما يودّه الآن هو فرس نهر ليبيري قزم كحيوان جديد في حديقة حيوانه الخاصة. أما أبوه يولكاوت -وهو تاجر مخدرات في أوج قوته- فمستعد لتلبية كل نزاوته. ليس مهمًّا أن يتعلّق الأمر بحيوان نادر يواجه خطر الانقراض لأن يولكاوت قادر على الدوام. يعيش توتشتلي في قصر؛ وكر مكسو بالذهب، ومعه ثلاثة عشر أو ربما أربعة عشر شخصًا بين قتلة، بغايا، مهربين، خادمات وسياسيّ فاسد. معهم أيضًا ماثاثين، أستاذه الخصوصي، الذي يرى العالم مكانًا مليئًا بالظلم يتحمل فيه الإمبرياليون ذنب كل شيء.

«**حفل في الوكر**» أكثر من مجرّد رواية أولى واعدة. إنّها قصة رحلة جامحة لتحقيق نزوة. رؤوس مقطوعة، أنهار من الدماء، بقايا بشريّة وجبال من الجثث. الوكر هو المكسيك وكما يعرف الكل: المكسيك أحيانًا بلد رائع وفي مرات أخرى بلد مشؤوم. هكذا تسير الأمور، لأنّ الحياة في نهاية المطاف مجرّد حفل؛ مجرد لعبة.

محمّد الفولي